عين المدينة

مجلة نصف شهرية مستقلة / العدد 85 / 1 كانون الثاني 2017

حلب
ما قبل الرحيل في حي العامرية
عدسة إسماعيل عبد الرحمن - خاص عين المدينة

Ayn-almadina.com
facebook.com/3aynAlmadina

الافتتاحية

ما بعد حلب

لم تكن خسارة حلب سهلة... كانت الظروف أكبر منا بالفعل، وكان ميزان القوى مختلاً لصالح عدوّنا، وكانت النساء والأطفال والشيوخ المحاصرون نقطة ضعفٍ إضافيةٍ استغلها؛ ولكننا لم نستثمر كل إمكانياتنا للصمود لوقتٍ أطول أو للتفاوض على شروطٍ أفضل للخروج حتى، ما مكّن أشرس خصومنا من التمادي في التحكّم بالمهجّرين إلى درجة الإذلال. لا شك أن لنا عودةً إلى المدينة، ولا شك في أن لهذا الطغيان حدّاً سيتراجع بعده ويدفع ثمن هذه الغطرسة المراهقة، غير أن ذلك لن يتمّ قبل أن نجري مراجعاتٍ عميقةً لأدائنا في شتى المجالات، ويصلب عود من سيستحقون النصر.

ولعل التخبّط الذي يسود الآن بين الثائرين وفي حاضنتهم يكون فاتحة عهدٍ جديدٍ من التعاطي الجدّيّ مع مستحقات الطريق الذي شققناه منذ ست سنواتٍ ولا بديل عن متابعته حتى يصل إلى أهدافه. ولعل الهدنة، التي بدأت منذ أيام، فرصةٌ مناسبةٌ لذلك، لا سيما بعد ما بدا من شروخٍ في معسكر العدوّ، بين من يحتفظ بحدٍّ أدنى من التعقل واحترام البيئة السياسية للعصر والعالم وتوازناته وبين من لا يلقي بالاً لكل هذا، ويبقى أسير ثاراته الطائفية الدموية، يحشد لها ما استطاع من حمقى الإقليم ومهووسيه، ومن عبيد البوط ولابسيه ومعتنقيه في سورية.

مع بداية العام يتسارع العدّ النهائي لأيام المشروع الإيرانيّ المعربد. فقبيل استلام الرئيس الأميركي المنتخب، دونالد ترامب، مهامّه جرى تمهيدان أساسيان؛ الأول هو التقارب التركيّ الروسيّ على وضع أسس الحلّ السياسيّ والمرحلة الانتقالية في سورية، مما لا يمكن أن يتطابق مع أوهام بشار الأسد وجمهور الراقصين في مسيرات انتصاره الحلبيّة، والتمهيد الثاني هو حزمة من الإجراءات والقرارات الأميركية على مستوى السياسة الخارجية ودعمها عسكرياً، أتاحت لترامب رفع العصا الغليظة فوراً في وجه إيران، ولا سيما ميليشياتها في سوريا ولبنان والعراق.

في المستقبل القريب مؤشراتٌ إيجابيةٌ ولكننا، مرّةً أخرى، إن لم نكن جاهزين لاستثمارها والتفاعل مع معطياتها بما يخدم مصالحنا، فستعبر من فوقنا ولن نحصّل منها إلا فوائد عرَضية بعد تقاسم الأقوياء الوليمة.

يطال الكلام السابق المناطق المحرّرة وباقي الأراضي السورية التي ما زال يسيطر عليها النظام وقواته المختلطة، وتستثنى منه المنطقة الشرقية للأسف، دير الزور والرقة، طالما يحكمها الكابوس الداعشيّ ويستجلب لأهلها الموت والدمار من كل من يريد أن يجرّب عضلاته في محاربة الإرهاب!

3 حلب بين الهزيمة العسكرية والسقوط الأخلاقي

4 آخر فرسان المدينة

7-6 بلا جسور.. أسواق ضفتي الفرات وتنظيم الدولة

12 غنائم الكتب تحت جسر الرئيس

13 صالح العاني.. حكاية داعشي من عشيرة الشعيطات

14 روسيا من طرفٍ في الصراع السوريّ الى حكمٍ فيه؟

16 إنعاش الذاكرة على وقع اعلان الهدنة

19 آل الطبل وسناء دعدوع والفيل يا ملك الزمان

حلب:
بين الهزيمة العسكرية والسقوط الأخلاقيّ

مصطفى الدباغ

الدمار الذي خلفته قوّات الأسد وحلفاؤها هائلٌ إلى الدرجة التي استطاع فيها أن يتغلغل في عقول وقلوب مواليه ليتحولوا تدريجياً إلى أشبه بالوحوش، وفي أفضل الأحوال إلى حمقى متعالين، محمّلين الثورة مسؤولية كل المآسي التي شهدتها البلاد، ساعين إلى شيطنة أبنائها ومن يقف إلى جانبهم.

قبيل معركة حلب الأخيرة طالبت الكثير من الصفحات الموالية على فيسبوك بإبادة سكان الأحياء الشرقية من المدينة، كـ«شبكة حلب عاجل» التي دعت قيادتها إلى «الدعس بالبوط العسكري لأن الحمار بعمرو ما بصير بني آدم ويفهم حكي»، ليحظى هذا المنشور بأكثر من 2300 إعجاب. في وقتٍ نال فيه منشور الإعلاميّ الحلّبي الموالي للنظام، شادي حلوة، 15000 إعجاباً عندما كتب: «اتخذ القرار... السحق... رفعت الأقلام وجفت الصحف..»، لتأتي التعليقات على المنشور مشيدةً بهذا «الحل الأنجع»، واصفةً سكان حلب الأخرى بالصراصير والفئران الذين لا يستحقون الحياة، مطالبةً قوات الأسد والنمر بإبادتهم.

أما مدير غرفة صناعة حلب، سليل المحسوبيات والفساد، فارس الشهابي، فكتب على صفحته في فيسبوك: «تجمع طوبز كما أمرت ودفع لك» الفورجي قرر مغادرة أحياء حلب الشرقية غداً الى قندهار الإدلبية.. نأمل ذلك!». ويصف، في منشورٍ آخر، سكان حلب الشرقية بالقول: «هل ستستجيب البهائم لنداء العقل..؟!».

هذا التعايش مع واقع العبودية القائم يقابله الشعور بالكرامة والإحساس بالحرية والسعي إلى بناءٍ جديد، ما شكل اختلافاً بين سكان مدينة حلب التي انقسمت بفعل ذلك إلى شرقيةٍ وغربية، وسرعان ما غيّر هذا التقسيم طريقة التفكير واللغة والقيم بين أكثر السكان في ضفتي المدينة، إذ يتدنى الخطاب إلى الإسفاف المريع لدى معظم الأصوات المنبعثة من الضفة الغربية التي تبعد مئات الأمتار فقط عن الذين تنفسوا الحرية وحملوها.

يكتب الثائر Haleem Kawa على صفحته على فيسبوك قبيل المغادرة:

«سأُهجّر قسراً من مدينتي التي ولدت وعشت فيها، وبلا أمل بالعودة. الساعات الأخيرة لنا الآن في حلب .

خليط من المشاعر بين الفرح والحزن والخيبة والألم.

فرح النجاة من هذه المحرقة لمن بقي حياً، وحزن على المغادرة الأبدية! لنا نحن أبناء هذه المدينة».

ويكمل:

«سامحوني يا أهل حلب

سامحونا على كل أخطائنا

بتمنى من كل قلبي السلامة والراحة لكل أهالي المدينة اللي رح يبقوا فيها

أعانكم الله على الاحتلال الأسدي والروسي والإيراني..

خاطرك يا حلب، خاطرك يا يوم..».

وفي وقتٍ تجد فيه الناشطين، وحتى البسطاء، في الأحياء الثائرة ينتمون إلى هذا الخطاب الإنسانيّ مترفعين عن النفس الدمويّ، تجد من أبناء الضفة المقابلة من يرقصون للأسد ويتبادلون صور السيلفي على جثث أبناء مدينتهم وأمام البيوت المهدمة. فهم يرفضون أيّ تغيير في الطريقة التي يعيشونها، والتي تمثل من وجهة نظرهم الحياة الآمنة والهادئة، حتى لو كانت تحت نظام دكتاتوريٍّ قاتلٍ وقبضةٍ أمنيةٍ حديدية، طالما أن كل شيءٍ يُحلّ بالمال والرشوة والفساد، باعتبارهم «مواطناً مثالياً» بلا أحلامٍ تناقض ما يأمر به القائد وشبّيحته.

فتكتفي نوار رحموني، من الحزب السوريّ القوميّ الاجتماعيّ، بالتحسر على شجرة الميلاد في الوقت الذي يُهجّر ويموت فيه آلاف الأبرياء في الطرف المقابل: «متل هالأيام كانوا الحلبية ينزلوا عالسليمانية والعزيزية ليتفرجوا زينة العيد. متل هالأيام... بس من 6 سنين».

بينما يكتب الدكتور الإنسان سالم أبو النصر، قبل الخروج من حلب الشرقية، على باب مركز «دارنا» الاجتماعيّ، رسالته للغزاة القادمين فيقول:

«انتبه!!

لا تخرب!!

هنا يوجد أشياء يستفيد منها أطفالك

2016/12/15

حلب/ سوريا

حرية».

ويكتب عقب الخروج:

«لكل الأصدقاء في الواقع وفي العالم الافتراضي، في سوريا ومن كل شعوب الأرض، جزيل الشكر والعرفان والتقدير على كل حملات التضامن مع كل الناس الذين كانوا يعانون ويلات القصف والحصار والتشرد في الأحياء الشرقية من حلب.

لكل القلوب البيضاء وافر الامتنان لما بذلوه من جهد لتخفيف معاناة الناس.

لكل القلوب المفعمة بحب الخير للناس في كافة بقاع الأرض، السلام والعدالة.

طبعاً كل المحبة لمن لا يزال على إنسانيته رغم توحش الآخرين.

مني شخصياً كل الاحترام لكل الذين ما زالوا مؤمنين بكرامة وحقوق الإنسان. وأولها حقه أن يعيش الحرية..».

وهنا علينا أن نقف لنتساءل عن سبب هذه الهوّة الكبيرة التي نشأت بين جانبي المدينة والبلاد في الخطاب الإنسانيّ والتفاوت في الرؤى وشكل الحل؟

آخر فرسان المدينة

مصطفى أبو شمس

ودّعت حلب فرسانها. أغلقت الباب وراءهم وانزوت تستمع إلى صدى أغانيهم التي ملأت الأزقة وتداوي جراح أرصفتها وتلعب وحيدةً بثلج المقابر. رائحة الموت وحدها تضجّ في ملامحهم القاسية، وأعينهم الدامعة ترسم تغريبتهم الجديدة ونزوحهم الأخير. بعضهم خرج إلى الحياة ورأسه ممتلئةٌ بآلاف القصص، وبعضهم آثر البقاء في شوارع المدينة التي ابتلعته.

Aleppo www.shaam.org

«ما أخدت معي مفاتيح بيتي»، قالها أبو محمد وهو يردّ على الرسائل الصوتية الكثيرة التي أرسلتها إليه دون مجيب، ثم أكمل: «فكّرتك عبتتصل فيني لتعزمني على مظاهرة. بتتذكر يا أستاذ وقت كنت تخبّرنا؟ خمس سنين راحوا هيك، كل شي راح، كل الناس الي استشهدت، كل الناس الي اعتقلت، كله راح».

غصّ بالدمع وتركني بارداً كالثلج. أردت أن أسأله عن رحلته ولكن إشعاراً وصلني بتسجيل صوتيٍّ من أبو محمد، الشاب الأميّ الذي كان يعمل في «الخراطة» قبل الثورة، ليتحول بعدها إلى ناطور المدينة، تجده على كل الجبهات والابتسامة لا تفارق وجهه النحيل. انتظرت حتى أسمع الصوت كيلا أقتل كلماته. كان حزيناً وهادئاً: «ودّعت قبر أخوي، ومشيت في الشوارع القديمة. وقفت على باب بيتك ودقيت، ما فتحتلي. كتير ناس كتبت ع الحيطان بس أنا ما بعرف أكتب، جبلت طين ولزقته ع الحيط، يمكن التراب أهم من الكتابة. حرقت السيارة والبيت، ما بدي حدا يدخل على بيتي، ما بدي الشبّيحة يشموا ريحتنا».

استوقفني التسجيل والصورة التي أرسلها لسيارته التي أضرم النار فيها ليحرق وراءه كل المراكب كي تهدأ روحه، ليحرق الخذلان الذي اعتراه والعجز الذي لم يزره يوماً منذ دخول الثورة إلى باب بيته واستقباله لها بكلتا يديه وروحه. أرسلت له دون أن أعي: «حسبي الله ونعم الوكيل»، فردّ برسالة صوتية: «نسيت أنو ما بعرف أقرا؟ يمكن خلص الحكي».

قمت إلى مفتاح بيتي الذي جلبته معي من حلب إلى منفاي ورميته من النافذة ليبتلعه الثلج. هذه المرّة لم تفلح مدفأة الفحم في تدفئة عظامي، كان البرد يتسلل إلى داخلي فأرتجف كقشةٍ في مهبّ ريح.

الاطمئنان على من تبقى في المدينة كان الهاجس الذي يسيطر عليّ. قلت في نفسي فلتهدم كل الحجارة ويبقى أولئك الفرسان. تسمّرت أمام شاشة التلفاز أنتظر خبر خروجهم، لم يبق في المدينة سواهم، أعرف أنهم ربما سيتخذون قراراً جماعياً بالموت، هم الذين عاهدوا الله على البقاء حتى النهاية. هل سيذكر التاريخ أن رجالاً أهدوا أنفسهم للموت لنعيش؟ وهل كنا نستحق؟ هل سنرثيهم على صفحات الفيسبوك، ونتبادل صورهم ونؤلف الحكايا عنهم، ثم سنعود إلى طوابير الإغاثة ونتشاجر من أجل كروت «الدانماركية والذهبية والهلال الأحمر»؟

أيقظ قلبي صوت هاتفي من جديد. كان أبو إسماعيل، الممرّض الذي رافق الثورة في كل مشافيها، بوجهه الأبيض المستدير وكلماته الحنونة يحمل الأشلاء ويخيط الجروح ويتنقل في المشفى بصدريته البيضاء المليئة بالدم، وحين يجلس ليستريح مع سيجارته كان يأتي إلى صيدليتي القريبة، يطلب فنجاناً من القهوة ويبكي.

«راحت حلب يا صديقي، هجّرونا»،

وكأنه يعتذر عن نجاته وتركه المدينة تضمد جراحها وحيدة. «الضرب كان كتير. أيام ما وقف ولا لحظة: راجمات، صواريخ، براميل، قصف. بتعرف بيت أم سليمان؟ حوّلناه لمشفى ميداني». اكتفيت بـ«أعرف يا صديقي، الحمد لله على سلامتك». أجابني: «ليتني لم أنج. الجثث تملأ الشوارع، مررنا بالقرب منها، لم نستطع فعل شيء. في الحافلات كان كل شيءٍ يبصق في وجوهنا، مجرّد النظر إلى وجوه الشبّيحة كان له فعل البصاق أيضاً. الناس ما عادت تحتمل كل هالموت والذل». أردت أن أخرجه من الحزن الذي أعرف جازماً أنه سيبقى كعلامةٍ فارقة حتى العودة فسألته: «اشتريت دخان؟»، فأجابني: «لم يعد هناك وقتٌ للتدخين... لقد أقلعت عنه، أريد لقلبي أن يمتلئ بالحزن».

أرق الأسئلة -التي لم يفلح حب المنوّم في إبعادها عن عقلي المكتظ بالقلق- وضعني أمام نفسي عارياً. ما الذي حمله فرسان المدينة في كيس المسافر؟ وما الذي ستعنيه الجهات لهم؟ هم الذين اختارتهم الجهة الشرقية لتستعيد امتدادها ووجودها الكثيف أمام طغيان الغرب ومبانيه وفكره وخذلانه الدائم لهم. في حلب الشرقية عليك أن تكون ثائراً لتعيش في أرضها القاسية وتمارس دورك في الحرّية لا التحرر.

كيف تحمل هذه الجهة من المدينة كل هذا الوفاء؟ أوليست غريزة الإنسان تقوم على الحياة وحبها وتكره الموت؟ هل سيتكفل الزمن بمداواة بعض جراح فرسانه؟ كيف يمكن لمن قالها من قلبه ذات يوم حرّية أن يتنكر لها أو أن تهدأ روحه دون أن يُطلقها لتملأ السماء؟!!

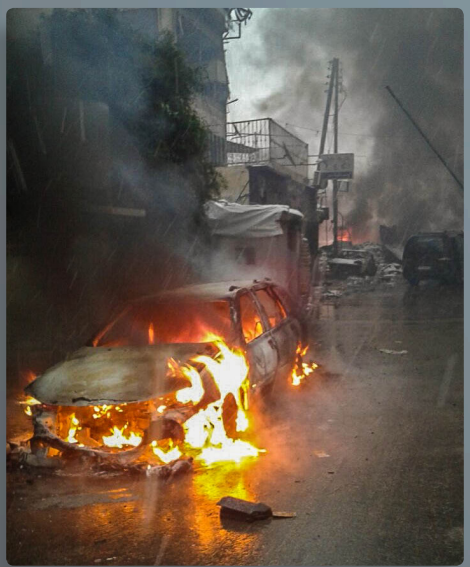

حارق الباصات الخضر

عبد الرؤوف رحمة

د. علي حافظ

بينما كان العالم يحبس أنفاسه على أوتار متابعة التغريبة الحلبية بكل فصولها المأسوية القاسية، منتظراً خروج قوافل الباصات وهي تقلّ المدنيين والمقاتلين المتبقين في القسم الشرقيّ من المدينة إلى جهاتٍ عدّة، قاطعةً طريقاً طويلاً خطراً جداً، بسبب احتمال هجوم أزلام النظام وشبّيحته والميليشيات الشيعية عليها، بكل ما يحملونه من حقدٍ طائفيٍّ أعمى، للانتقام من ركابها، كما حدث يوم الجمعة (16 كانون الثاني 2016) عندما أطلقت تلك الميليشيات النار على قافلة النازحين المكوّنة من 25 باصاً بعد عبورها حيّ الراموسة الحلبي، متجهة نحو ريف المدينة الغربيّ، مما أسفر عن مقتل وجرح العديد من المهجّرين؛ ليفرضوا شروطاً إيرانيةً جديدةً تتضمّن إخراج مئات الأشخاص من بلدتي الفوعة وكفريا الشيعيّتين بريف إدلب؛ في خضمّ كل ذلك هاجمت مجموعةٌ من المتشدّدين الإسلاميين قافلة الباصات الفارغة المتوجهة نحو هاتين البلدتين، وقامت بالاعتداء على سائقيها، وإضرام النار في بعضها، بالقرب من النقطة صفر -الحاجز الأخير لجبهة فتح الشام عند مدخل كفريا- ما أدى إلى عرقلة خروج المحاصرين من حلب لبعض الوقت، وأدخل الأمور في عنق الزجاجة، لا سيما بعد عرض فيديو يصوّر المهاجمين على خلفية الباصات المحروقة!

للوهلة الأولى بدا الذين ظهروا في التسجيل قريبين من زيّ المنتمين إلى داعش أو النصرة أو غيرها من الجماعات الجهادية الموجودة على الأرض السورية؛ لكن ما إن تسمع خطبة متزعمهم -عبد الرؤوف رحمة- وتشاهد ردة فعل البقية بالتكبير وترديد شعار «قائدنا للأبد سيدنا محمد» الذي لا تردده تلك الجماعات؛ حتى تتأكد بأنهم مجموعةٌ من الشباب الإدلبيّ الغاضب، ربما انتمى بعضهم إلى تنظيماتٍ جهاديةٍ في السابق، أرادوا أن يفعلوا شيئاً يلفت الانتباه، فقاموا بهذا العمل المدان والمرفوض تماماً، لا سيما في مثل هذه الظروف القاهرة.

يصرخ عبد الرؤوف بأعلى صوته أن الهدف هو رد كرامة أهل حلب التي أهينت من قبل الميليشيات الشيعية، مستنفراً الهمم من خلال استبدال تعبير «أمة الإسلام» بـ«العرب» في البيت الشعريّ: «تنبهوا واستفيقوا أيها العرب/ فقد طمى الخطب حتى غاصت الركب» لإبراهيم اليازجي؛ ملغياً توجهه القوميّ، في وقتٍ انقضت فيه موضة القومية العربية وذهبت أدراج الريح مع أفعال النظام الأسديّ البعثيّ الدكتاتوريّ الشنيعة!

من هو عبد الرؤوف رحمة؟

من مواليد إدلب، عمره 45 عاماً، وينحدر من أسرةٍ معروفةٍ بالتزامها الدينيّ. درس في كلية الآداب بجامعة حلب، قسم اللغة العربية؛ لكنه لم يستطع إكمال دراسته بسبب الفقر الشديد، ما اضطرّه إلى تركها والسفر إلى قبرص، حيث عمل قرابة عشر سنواتٍ بـ«صبّ البيتون»، جمع خلالها مبلغاً من المال عاد به إلى سورية وفتح محلاً لبيع العطور. أحب قراءة الكتب الدينية والتاريخية، وأدمن لعب ورق الشدّة. شارك في المظاهرات السلمية، ولكن مع خمودها وسيطرة جيش الأسد على إدلب لزم بيته وعمله. بعد دخول «جيش الفتح» إلى المدينة حاول أن يصبح إماماً وداعية، مستفيداً من لغته العربية ومعارفه الدينية، لكنه لم يستطع بسبب احتكار هذه الأمور من قبل شرعيّي جبهة النصرة!

كان رحمة قد انتسب إلى النصرة بعض الوقت، ثم إلى حركة أحرار الشام، وتقرّب من جند الأقصى، وسرعان ما ابتعد عنهم، مقرّراً السفر إلى تركيا بحثاً عن عمل؛ لكن ظهوره وهو يحرق الباصات، مع عددٍ من الرجال الغاضبين، فاجأ الجميع!

وبناءً على ما سبق يبدو أن هذا الفعل كان عملاً انتقامياً عشوائياً، غير مدفوع -على الأغلب- من أيّ جهةٍ عسكرية. وكل ما أشيع عن بيان أبو البهاء الأصفري -أميرٌ في جند الأقصى- الذي تبنى العملية، هو مجرد محاولةٍ يائسةٍ للتأكيد على أنه موجودٌ مع جنده على الساحة لا أكثر. وقد يكون البيان مزوّراً، لأنه لا أحد اليوم في إدلب يستطيع التصريح علناً بالانتماء إلى «الجند»، بسبب الخوف من اعتقال «أحرار الشام» له. وحتى أبو البهاء لا يظهر للناس منذ مدّةٍ طويلة، ولا أحد يعرف مكانه، لأنه موجودٌ في حماية «الجبهة»؛ ولا يتحرّك أو يصرّح إلا بأمرها.

بعد الزوبعة التي أحدثتها عملية حرق الباصات، تمّت إعادة سائقيها -بينهم جثتان وجريحان- مساء الثلاثاء (20 كانون الثاني)؛ واستمرّ خروج المدنيين والمقاتلين من حلب، حتى خرجت الدفعة الأخيرة مساء الخميس (22 كانون الثاني)؛ ليسدل الستار على قضيةٍ شغلت الرأي العام المحليّ والعالميّ ردحاً من الزمن، وحرقت قلوبنا جميعاً!

بلا جسور
أسواق الضفتين وتنظيم الدولة الإسلامية

علي خطاب

من إصدارات داعش

كثر الحديث، بعد قصف آخر الجسور في دير الزور، منذ ثلاثة أشهر، عن الأعباء التي صار يتحملها الأهالي للتنقل بين ضفتي الفرات، الشامية في الجنوب الغربيّ للنهر والجزيرة في شماله الشرقيّ. وراح النشطاء الإعلاميون ينقلون الأسعار الجديدة للمواد، بعد أن أصبح التجار يدفعون تكاليف إضافيةً لنقل بضائعهم بالسفن (العبّارات) النهرية. على أن المشهد الاقتصاديّ الجديد يشي بأبعد من ذلك، إذ جاء تدمير الجسور ليكلل عملية انتقالٍ في البنية الاقتصادية للمنطقة، بعد أن أنهكت الحروب والصراعات بنيتها الاجتماعية.

تعتمد المنطقة على تربية الماشية والخدمات أساساً، ثم ارتبطت بالزراعة أكثر فأكثر، خاصّةً مع انتشار الزراعات الصناعية، كالقطن والقمح والشوندر، التي عمل ارتباط تسويقها بالحكومة السورية لنصف قرنٍ على زيادة التمركز حول المدن الرئيسية (مدينة دير الزور عاصمة المحافظة، والميادين والعشارة والبوكمال جنوب النهر) التي استأثرت بالجسور التي ربطت الضفتين. وأسهم الطريق الواصل بين تلك المدن في إنعاش ريف الشامية، الذي صار يُنظر إليه على أنه «أكثر وعياً» من باقي مناطق المحافظة، لكن، قبل ذلك، أكثر اندماجاً باقتصاد دير الزور، الذي صارت تربية الماشية والزراعة والتجارة ووظائف الدولة والنقل ركائزه الأساسية. على أن التهريب من العراق وإليه، والعمل في الخليج العربي، كانا ركيزتين إضافيتين في اقتصاد خط الجزيرة، أسهما في تشكيل خيارات وميول الأهالي بعد الثورة، ومما كان لها دورٌ كبير، بالإضافة إلى عوامل أخرى، في انطلاق تنظيم الدولة من هذا الخط للسيطرة على كافة أراضي دير الزور، ثم جعل الميادين عاصمةً إداريةً لما أطلق عليه اسم «ولاية الخير».

انهيار العاصمة

رغم نزوح سكان المناطق التي انتشر فيها الجيش الحرّ لم تفقد مدينة دير الزور ثقلها، لاحتكارها الدوائر الرسمية التي ظلت تحت سيطرة النظام، وتعلق البيروقراطيين في أرجاء المحافظة من موظفي القطاع العام بتلك المناطق، لكنها فقدت سوقها المركزيّ والأكبر، الذي تقاسمت وراثته أسواقٌ مركزيةٌ في الميادين خاصّةً والبوكمال والعشارة، وأسواقٌ أخرى طرفيةٌ كسوق الكسرة في الريف الغربيّ. وبينما ترك قسمٌ من موظفي القطاع العام وظائفهم طوعاً، منذ انتشار الحرّ منتصف 2012، أسهمت الملاحقات الأمنية، لاحقاً، في دفع قسمٍ آخر إلى اختيار البقاء في مناطق الثوار، لكن موظفين كثراً آخرين ظلوا يتنقلون بين تلك المناطق ومناطق سيطرة النظام، إلى أن دفعهم تنظيم الدولة، في بداية 2015، إلى اتخاذ موقفٍ نهائيّ، بفرضه حصاراً محكماً على الأحياء التي يسيطر عليها النظام من مدينة دير الزور، مما اضطرّهم إلى المغادرة تباعاً إلى القامشلي ثم إلى دمشق.

يعامل تنظيم الدولة المتبقين من الأهالي في الأحياء التي يسيطر عليها من المدينة معاملةً يندر وجودها في أماكن أخرى، ففي حين يفرض عليهم رقابةً مضاعفةً فإنه، بالمقابل، يوفر الكهرباء والماء مجاناً، وبساعات تقنينٍ قياسيةٍ بالمقارنة مع مناطق خارج المدينة. وكذلك يتدخل مالياً، بحسب شهادات، لخفض أسعار المواد الأساسية عن طريق دعم بعض التجار الذين تعتمد عليهم المدينة في توفير احتياجاتها. ويفيد إعلاميون من المدينة أن التنظيم لم يتأثر كثيراً بعد انهيار جسر السياسية جرّاء استهداف الطيران الروسيّ في تشرين الأول الفائت، لأن جبهات المدينة فرضت عليه حرب الشوارع التي لا تحتاج إلى آلياتٍ ثقيلة، كما أنه يملك فيها مستودعاتٍ ضخمةً من السلاح والذخيرة.

الضفاف التي ما زالت تتباعد

خسرت دير الزور أول جسورها مبكراً، بعد أن دمرت الفصائل الإسلامية في المدينة جسر كنامات، كحلٍّ دفاعيٍّ ضد هجمة قوات النظام في نهاية 2012. وبدأ استعمال الزوارق الصغيرة للدخول إلى المدينة والخروج منها بسبب الحصار المتبادل المضروب من قوّات النظام والجيش الحرّ، أحدهما على الأحياء التي تحت سيطرة الآخر، في 2013. وللسبب ذاته استعملت الزوارق بين قريتي البوليل والصبحة شرق المدينة، ثم تطوّر الأمر إلى استعمال عبّاراتٍ ضخمة (سفن نهرية مصنوعة من البراميل في الغالب) تنتقل عليها السيارات وحافلات النفط، فضلاً عن الأفراد، في الريفين الغربيّ والشرقيّ، إلى أن عمّ ذلك على طول النهر بعد خروج كافة الجسور عن الخدمة بسبب قصف طيران التحالف.

يتوخى أصحاب العبّارات الأماكن التي يكون فيها ارتفاع الماء مناسباً للتنقل. وتفصل بين المعبار (مكان وقوف العبّارات على الضفة) والآخر مسافة 10–15 كيلومتراً. ويقف عند كلٍّ منها عنصرٌ من التنظيم أو أكثر، لتنظيم الحركة. وظلت المعابر، منذ إنشائها، هدفاً لطيران النظام ثم روسيا. يتقاضى أصحاب العبّارات 100 ليرةٍ سوريةٍ عن كلّ شخص، و200 عن الدراجة، و500 عن السيارة. أدّت الحمولة الزائدة في بعض الأحيان إلى غرق عبّاراتٍ تحمل براميل نفطٍ أو سياراتٍ كبيرة، كما أدى سوء تصنيع بعضها إلى حوادث مؤسفةٍ خلفت ضحايا مدنيين. ويملك التنظيم عبّاراتٍ خاصةً به، في مناطق إستراتيجية، لنقل مركباته،

استهدفت بعضها رشاشات طيران التحالف منذ مدّة، بحسب ما يتناقل الأهالي.

حاول تنظيم الدولة إعادة تأهيل بعض الجسور، وإصلاح الطرق التي استهدفها التحالف مخلفاً عشرات الحفر التي يزيد ارتفاعها على ثلاثة أمتار، لكنه لم ينجح إلا جزئياً. ففي جسر العشارة رُدم الجزء المنهار، لكنه بالكاد عاد طريقاً للمشاة والدراجات النارية، ولم يستطع تقريب المسافات التي بعدتها، قبل طائرات التحالف، نيرانٌ أخرى.

أسواقٌ جديدة وإداراتٌ محلية

نُشرت على شبكة الإنترنت، في الآونة الأخيرة، العديد من لوائح الأسعار الجديدة، التي من المفترض أن تكون قد ارتفعت بسبب ارتفاع أجور نقل البضائع بين ضفتي النهر، لكن دون أن ترفق بلائحة للأسعار قبل قصف الجسور، للمقارنة. على أن تزامن القصف مع قدوم فصل الشتاء، وخروج كميات كبيرة من النفط الخام أو المكرّر إلى أسواق خارج مناطق سيطرة التنظيم، جعل أسعار المحروقات تتضاعف، فقفز سعر برميل المازوت خلال أيام من 18 ألف ليرة إلى 42 ألفاً، ما قد يكون أثر، إلى جانب سقوط الجسور، في أسعار المواد، التي لم ترتفع أكثر من 20%، بحسب أحد التجار. لكن ما حدث هو تذرّر الأسواق المركزية إلى أسواق أصغر، للخضار والمواد الاستهلاكية والماشية، على الضفة المقابلة في خط الجزيرة، وانتعاش أسواق كانت صغيرةً إلى وقتٍ قريب.

بدأت الأسواق الصغيرة والهامشية تحاول منافسة الأسواق المركزية منذ اندلاع الثورة. وأخذت المنافسة أشكالاً صراعيةً ذات وتيرةٍ متصاعدةٍ وصلت إلى الصدام أحياناً. فسوق الماشية (الماكف) الذي بناه في مدينة العشارة، مع بداية الثورة، أحد أفراد عائلة النجرس، رآه البعض في القورية تهديداً لسوقهم الصغير، واقتتلت بسببه فئاتٌ أهليةٌ من المنطقتين وجوارهما في بداية 2013، إلى جانب فصائل استعملت في الاشتباكات الأسلحة الثقيلة التي أوقعت ضحايا من الطرفين، ووقعت بالنار أول محاولة اقتسامٍ لمركزية سوق الميادين شرق دير الزور.

صرف استثمار النفط والدعم الخارجيّ الأنظار عن اقتصاد المنطقة الأساسيّ، على أن تعطل طريق الشامية بسبب الحرب، واعتماد طريق شمال النهر، ساعد في نمو حركة التجارة والخدمات في قرى وبلدات ونواحي الجزيرة بنسبٍ متفاوتة، مع احتفاظ المدن بمكانتها. فكانت الثروة الطارئة تشبه إلى حدٍّ بعيدٍ السلطة في ذلك الوقت، من جهة توزعها وانتشارها على طيفٍ بشريٍّ واسعٍ متوازن النفوذ، وتبادل الموافقة الضمنيّ بين الفاعلين على أدوارهم الجديدة.

ورغم تكريس التنظيم مدينة الميادين في الشامية عاصمةً لـ«ولاية الخير» (دير الزور)، يسهم فصل الضفتين اليوم في النموّ المتسارع لأسواق الجزيرة التي كانت، إلى وقتٍ قريب، تقتصر على تجارة المفرّق وتقديم بعض الخدمات البسيطة للجوار. بينما يبرز اليوم سوقٌ لتجارة الخضار والمواد الاستهلاكية بالجملة في الطيّانة والجرذي وذيبان، وينطلق حديثاً ماكفٌ في قرية درنج أنشئ برعاية تنظيم الدولة، تبلغ تكلفة استثماره 25 مليون ليرة في السنة، ويتوقع أن يستقطب التجار من قرية شحيل حتى أبو حمام. كما يدور الحديث عن منطقةٍ صناعيةٍ يعمل التنظيم على إنشائها بالقرب من الماكف، تجمع فيها كافة محلات صيانة السيارات في الجزيرة.

ليست مصادفة أن ينتمي قادةٌ محليون كثرٌ في التنظيم إلى شمال النهر، وبالتالي بطانتهم والعناصر التي يمدون التنظيم بها، كما أن انتقال جزءٍ من الثقل الاقتصاديّ إلى هناك ليس مصادفة. وتفيد شهاداتٌ اليوم أن عناصر محليين في التنظيم يديرون مناطقهم دون الرجوع إلى القيادات في مراكز الولايات والقواطع، مما حوّل المنطقة إلى مناطق، تدار بما يشبه الإدارة المحلية، مع وجود سلطةٍ عليا تستمد «شرعيتها» منها، هي سلطة التنظيم.

البوكمال ومركزيتها الجديدة

ضم التنظيم مدينة البوكمال وريفها إلى مناطق في العراق، تحت اسم «ولاية الفرات». وراحت تربطها، مذّاك، نشاطاتٌ اقتصاديةٌ مع العراقيين الذين وجدوا فيها مكاناً مناسباً لتبادلاتهم التجارية، خاصّةً في ظل التسهيلات والمزايا التي يتمتعون بها في «دولتهم» الإسلامية، العراقية أساساً، قياساً بالسوريين. ورغم ظهور أسواقٍ بديلةٍ في الجانب السوريّ تغطي ريف البوكمال في الجزيرة، كسوق هجين، إلا أن المدينة حافظت على علاقاتها بكافة مناطق دير الزور، لاحتوائها على سوقٍ نفطيٍّ كبيرٍ يتجمع فيه التجار من ريف الدير لبيع النفط ومشتقاته لتجارٍ أكبر يتولون بيعه في الأطراف الجنوبية من البادية السورية أو في دمشق والسويداء، كما تستقطب البوكمال تجار الماشية من البادية الذين يتسوقون منها حاجاتهم من الخضار والمواد الاستهلاكية.

أسهمت الكثير من الظروف في انقسام الأسواق أو انهيارها، لا سقوط الجسور فقط. لكن سقوط الجسور، في النهاية، سيكرّس هذه الحصيلة السابقة إلى وقتٍ طويل.

النشاط التجاري وجانب من أسواق مدينة البو كمال

أزمة المياه في ريف حماة الجنوبيّ تنذر بكارثةٍ إنسانية

عبدو الحموي

بلدة طلّف - وكالة سمارت

تقع بلدة طلّف غرب ناحية حربنفسه بريف حماة الجنوبيّ. وتعدّ من القرى المحاصرة بسبب قطع جميع الطرق المؤدية إليها. ويبلغ عدد سكانها حالياً حوالي 12000 نسمةٍ من أهلها ومن النازحين من مناطق أخرى.

تعرّضت البلدة لحملةٍ عسكريةٍ من النظام السوريّ وحليفه الروسيّ منذ بداية عام 2016، استمرّت لعدّة شهور، وأسفرت عن تدمير البنى التحتية ومنها شبكة الكهرباء، بعد أن عمد الطيران إلى استهداف أبراج التوتر العالي والمحولات الكهربائية، مما سبّب انقطاع الشبكة الكهربائية بشكلٍ كامل، وأدى الى توقف عمل مضخة البئر الوحيدة الموجودة في البلدة، وأسفر عن نشوء أزمة مياه.

يقول محمد الخليل، رئيس مكتب الخدمات في مجلس طلف المحليّ، لـ«عين المدينة»: «مشكلة المياه في البلدة مشكلةٌ قديمة، لأن البلدة كبيرةٌ وتحوي أعداداً كبيرةً من النازحين، وبئرٌ واحدةٌ لا تكفي حاجة الناس. كنا نعاني لإرواء الأحياء مع وجود الكهرباء، فكيف مع الحملة العسكرية التي أدت الى تدمير شبكة الكهرباء وخروجها عن الخدمة، مما تسبب في تضاعف المشكلة وانقطاع مياه الشرب عن منازل السكان». أما سبب عدم تشغيل مضخة البئر على محرّك الديزل الذي يعمل على المازوت فهو عدم وجود الإمكانية المالية لدى المجلس المحليّ. لأن محرّك الديزل يحتاج الى 20 ليتر مازوت في الساعة، ويصل سعر الليتر في المناطق المحاصرة إلى 500 ليرةٍ سورية. ولإرواء الأحياء تحتاج البلدة إلى تشغيل المضخّة من ست الى ثماني ساعات يومياً، مع تقسيم الأحياء إلى ثلاثة أقسام بشكلٍ تصل فيه المياه إلى المنازل مرّةً كل ثلاثة أيام. ولكن غياباً الجهات الداعمة حال دون تنفيذ ذلك.

وللحدّ من تفاقم الأزمة عمل المجلس المحليّ على تشغيل المضخة لمدة ساعةٍ يومياً، وتعبئة الصهاريج التابعة له وإيصال المياه إلى الأهالي بسعر التكلفة، فوصل سعر الخزّان سعة ألف ليتر إلى 700 ليرة، وهو ما رآه البعض مبلغاً كبيراً بالنسبة إليهم بسبب أوضاع المنطقة. وقد حدثنا أبو أحمد، أحد سكان البلدة، أنه لا يملك حتى ثمن ملء الخزان لأن وضعه المادي سيئٌ جداً بسبب عدم وجود دخلٍ يعينه وعائلته، فلجأ إلى فتح البئر السطحيّة الموجودة في منزله منذ زمنٍ وتنظيفها وإعادة استخدامها، باستخراج المياه عن طريق الدلو لتأمين احتياجاته واحتياجات جيرانه من الماء. وعملت بعض العائلات على حفر آبارٍ سطحيةٍ في منازلهم تصل إلى عمق 20 متراً، لجمع المياه في الشتاء واستخدامها في الصيف. ولكن استعمال مياه الآبار السطحية ينذر بكارثةٍ صحية، لأن هذه المياه ملوثةٌ وغير صالحةٍ للشرب نتيجة عدم استخدام المعقمات.

خلفت أزمة المياه آثاراً سلبيةً على سكان البلدة، ودفعت العديد من العائلات التي تسكنها إلى النزوح إلى مناطق أخرى. ومن آثارها أيضاً انتشار الأمراض بشكلٍ كبير، فقد سجلت النقاط الطبية والمركز الطبيّ في البلدة العديد من حالات التسمم بسبب المياه والالتهابات المعوية والجرب والتهاب الكبد الوبائيّ من نوع A (المعروف بمرض اليرقان) الذي انتشر بشكلٍ كبيرٍ وخصوصاً بين الأطفال.

وأطلق المجلس المحليّ عدة نداءات استغاثةٍ للمنظمات الإنسانية والدولية، ولمجلس محافظة حماة الحرّة، ووضعهم في صورة الوضع وحجم المشكلة المتفاقمة في ظل انقطاع مياه الشرب. وحدثنا رائد رفعت، مسؤول التواصل في المجلس المحليّ، أنه عمل على دراسة عدّة مشاريع لحلّ مشكلة المياه وتقديمها إلى مجلس المحافظة ليقدّمها بدوره إلى المنظمات المختصّة في دعم قطاع المياه ولكن دون جدوى، لأن المنظمات والهيئات الداعمة ترفض دعم أيّ مشروعٍ في ريف حماة الجنوبيّ بحجّة أن المنظمات غير قادرةٍ على دخول المنطقة لأنها محاصرة، رغم وجود كوادر بين الأهالي من الاختصاصيين ذوي الخبرة وممن لديهم القدرة على تنفيذ المشاريع.

بالرغم من كل هذا التدهور، المستمرّ منذ عام تقريباً، في قطاع المياه، لا يوجد أيّ دور لأيّ منظمةٍ للمساهمة في الحدّ من معاناة السكان وتوفير أبسط مقوّمات الحياة لهم في ظلّ الحصار المفروض على ريف حماة الجنوبيّ منذ أكثر من أربع سنوات.

ناشطات مدينة جاسم يؤسّسن جسراً من الأمل للأطفال

محمد شباط

في الجنوب السوري تستمرّ المبادرات الإيجابية في سبيل الحدّ من المعاناة التي يعيشها الكبير والصغير. ولأن فئة الأطفال هي الفئة الأكثر تهميشاً في ظلّ الحرب الراهنة، ولأنهم هم عماد المستقبل وثروته، كان لمجموعةٍ من الناشطات المدنيات من مدينة جاسم، في الريف الغربيّ لمحافظة درعا، دورٌ كبيرٌ في العمل على تأسيس مركزٍ يكون جسراً للأطفال نحو واقعٍ أفضل مليءٍ بالجدّ والنشاط على الرغم من كل هذه المآسي.

في «عين المدينة» كان لنا لقاءٌ مع السيدة نبال عسكر، صاحبة الفكرة ومديرة هذا المركز الذي أطلق عليه اسم «مركز العبور إلى المستقبل»، فقالت: «بدأ تفكير المؤسّسين والإدارة والمكتب الاستشاريّ في إنشاء المركز مستهدفين الشريحة العمرية من 12–18 عاماً، التي تشكل المرحلة الأكثر أهميةً في حياة الطفل. ولتحقيق ما نصبو إليه تمّت الاستعانة بكادرٍ عملٍ متخصّصٍ في كل المجالات، كما تمت الاستعانة باستشاريٍّ في الشؤون القانونية والإدارية للإشراف على عمل المركز بشكلٍ مباشر».

وعن البداية تقول: «تحت شعار (معاً أقوى) تم الإعلان، بتاريخ 2016/8/6، عن إطلاق العمل. لم يكن هذا التاريخ إعلاناً عن تأسيس المركز وإشهاره فقط، بل كان إيذاناً ببدء العمل لتحقيق رؤية المركز (مجتمعٌ سليمٌ معافى من الأمراض الاجتماعية)، وتكريس رسالته (الإنسان هو الهدف والغاية والوسيلة) واقعاً معاشاً. ومع اعتماد المركز شعار (معاً أقوى) شعاراً رسمياً له علم الجميع أنهم يَعِدون بتقديم الأفضل في المنطقة، وأنه لا بد لهم من النجاح في المهام التي نذروا أنفسهم لتحقيقها».

وعن أهم النشاطات التي نظمها المركز تبيّن عسكر: «تمثلت الأنشطة المستمرّة في إيجاد أقسام تدريسيةٍ هي: قسم تعليم مبادئ الكهرباء والميكانيك، وقسم المعلوماتية والكمبيوتر، وقسم الفنون النسوية، وقسم الرسم، وقسم الخياطة والتطريز، وقسم الدعم النفسيّ، وقسم الرياضة والترفيه. وقد بوشر بتسجيل الأطفال في البرنامج التدريبيّ الأول، ولوحظ أنهم كانوا يرغبون في التسجيل في جميع الأقسام، الأمر الذي دعا الإدارة إلى التدخل حتى لا يتم اقتطاع وقتٍ كبيرٍ منهم على حساب دراستهم، وبالفعل تمّ التوفيق بين هذه وتلك. كما تمثلت الفعاليات الدورية في إطلاق عدّة أنشطةٍ فكريةٍ وثقافية. واستطاع القائمون على المركز تحقيق ثنائيةٍ رائعةٍ بتلك الأنشطة، وهي الترفيه والفائدة. كما تم إطلاق مسابقة شطرنج، ومسابقاتٍ شعرية، ونشاطٍ لدهان الرصيف، وإعادة تأهيل المقاعد الدراسية، وزراعة الورود في الحديقة العامة في المدينة، وغير ذلك. ولأنه من ضمن أهداف المركز إخراج الأطفال من حالة الاكتئاب واليأس التي تعتريهم إلى حالةٍ من التفاؤل بمستقبلٍ يسهمون في صناعته، تم اعتماد برنامجٍ أسبوعيٍّ لأخذهم إلى إحدى مزارع الخيول وأحد المسابح ليقضوا وقتاً خارج حدود الهموم. ومع دخول العام الدراسيّ أطلق المركز نشاطاً آخر تمثل في دوراتٍ تقويةٍ للطلاب في مواد اللغة العربية والإنجليزية والفرنسية والرياضيات».

ظهرت الحصيلة الأولى لهذا العمل المميّز في حفلٍ كان الأكبر من نوعه في المنطقة، عمل عليه كلٌّ من كادر وأطفال مركز العبور، ولاقى صدىً كبيراً في مدينة جاسم والريف الغربيّ لمحافظة درعا عموماً. وللحديث عن هذا الحفل التقينا المدير الإعلاميّ للمركز، السيد أحمد الحسين، الذي قال: «مع حلول موعد تخريج طلاب البرنامج التدريبيّ الأول بدأنا بالتحضير لهذا الحفل، فقام الأطفال بتحضير لوحاتٍ رائعةٍ مما تعلموه في المركز وقدّموها على المسرح لتعبّر عن عملهم ونشاطاتهم. كان 2016/11/4، يوم حفل تخريج طلاب البرنامج التدريبيّ الأول، تاريخاً مميزاً. إذ قدّم الأطفال أمام ذويهم وأمام الحضور لوحاتٍ مما نهلوه في المركز، فزادت ثقة الآباء به، وزاد إعجاب المسؤولين الذين حضروا الحفل بما يمكن للإنسان السوريّ أن يقدّمه».

طريق أملٍ جديدٌ فتح للأطفال في مدينة جاسم، قدّمه مركز العبور إلى المستقبل بجهود الكادر الإداريّ والتدريسيّ الذين يسود بينهم جوٌّ أسريٌّ مليءٌ بالحب والسعادة بالعمل الذي يقدّمونه، والذي نال إعجاب الأطفال المستهدفين وذويهم والهيئات المدنية في المدينة. وقد أكد السيد عمران الحلقي، والد أحد الأطفال الذين خرّجتهم الدفعة الأولى من برنامج المركز، على السعادة الكبيرة التي رافقت طفله وأطفال الحيّ بالنشاطات التي يقوم بها المركز: «تزيد هذه الفعاليات من إصرار طفلي على التعلم. لا أقلق عليه في ظل وجود هذه الرعاية التي يقدمها المركز لأطفال العبور إلى المستقبل».

جميل قدّور... شهيد الصناعة الحربية

محمد سرحيل

«لن ننتظر الدعم الخارجيّ من أحدٍ ولا نعوّل عليه. ردّدنا في مظاهراتنا مطلع الثورة السلميّة (نحن ما نحتاج الناتو، نحن نشيله من نص بيته). سنقاومه ولو بالحجارة، بل سنجعل من أجسادنا جسراً يمتدّ إلى قصره في دمشق»؛ كانت هذه آخر الكلمات التي قالها الشهيد جميل قدّور في مقابلةٍ تلفزيونيةٍ أخيرةٍ معه. هو أحد عشرات بل مئات القادة والمُبدِعين الذين فُجعت بهم الثورة ممن كانوا على قائمة المطلوبين لتنظيم الدولة.

السيرة

أحمد جميل قدور ابن مدينة حريتان. من مواليد 1970. متزوجٌ وله أربعة أولاد. صناعيٌّ مبدعٌ وميكانيكيٌّ ماهر. عمل قبل الثورة في الحدادة وإصلاح السيّارات والمولّدات الكهربائية. ومع انطلاق الثورة كان، مع إخوته الاثنين، من أوائل المتظاهرين في حريتان، إلى جانب (أبو علي منذر) الذي أصبح قائداً للمدينة في ما بعد، الأمر الذي جعل منزل القدّور هدفاً لقوات الأمن والشبّيحة الذين حاولوا اعتقاله واستهداف المنزل أكثر من مرّة، إلا أنه كان يلوذ بالفرار مع إخوته، مرّةً تلو الأخرى، عبر الباب الخلفيّ.

تسليحٌ ذاتيّ

بعد تحرير حريتان عكف قدّور على خدمة العمل المسلح وتفرّغ له، مسخّراً موهبته وخبرته لتصنيع وتطوير بعض الأسلحة المتوسّطة والثّقيلة.

يقول أحد المقرّبين منه: «أطلَعَني الشّهيد القدور على 16 اختراعاً نفّذها في ورشته، بينها قناصةٌ إلكترونيّةٌ يتم التحكم بها ومراقبة أهدافها عن بعدٍ من خلال شاشةٍ صغيرة، تمكّنها من إصابة أهدافها بدقةٍ عالية. كذلك صنع عَرَبة صغيرة تحوي رشاشاً متحرّكاً، يستطيع من خلالها انتشال الجُثث من الأماكن المرصودة من القنّاصين».

اشتُهر أيضاً بتحريك السيارات والتحكم بها عن بعدٍ بشكلٍ كاملٍ وفي كافة الاتجاهات، لاستهداف الحواجز والنّقاط العسكرية. ومن أبرز العمليّات التي كانت له يدٌ فيها استهداف حاجز النّظام قرب المشفى السوريّ الفرنسيّ بحلب بسيارةٍ مسيّرةٍ عن بعد. كما أسهم في تصنيع وتطوير أكبر مدفعٍ محليّ الصنع فاق مداه جميع المدافع المحليّة الأخرى. سلاحٌ بسيطٌ آخر قام بصناعته هو منجنيقٌ يقذف القنابل على خطوط الاقتحام القريبة.

اعتقاله

بعد استشهاد منذر أبرص (أبو علي) الذي كان يعرف بـ«حجي حريتان» احتل أخواه التوأمان الحسن والحسين مكانةً في المدينة وأصبحت لهما كلمةٌ مسموعة، بعد أن كانا عنصرين يعملان تحت إمرة «الحجي». ومما يجدر بذكره أن الحسن والحسين كانا يدرسان الطبّ في بريطانيا، وعادا إلى سورية في بداية الثورة، ثم ما لبثا أن بايعا تنظيم الدولة فور سيطرته على المدينة، ولا يزالان على رأس عَمَليْهما إلى الآن كأمراء لدى داعش في «ولاية الرقة».

أواخر عام 2013، وعقب احتدام القتال بين داعش ولواء شهداء بدر (خالد حياني)، توجّه الأخَوان إلى منزل القدّور في مدينة حريتان، وقاما بطلب جميل وأخيه (وهو صديق طفولتهما، وشريك أخيهما أبو علي في الثّورة وحمل السلاح)، وأخبراهما أنهما سيحلان ضيفين عليهما لطرح بعض الأسئلة سريعاً وإطلاق سراحهما، ليُغيّب المخترع جميل بعدها في سجون التنظيم بتهمة التعامل مع «شهداء بدر». لم يشفع له الخبز والملح ولا عِشرة العمر والجِوار بين عائلته وعائلة الأبرص قبل الثورة وبعدها!

في مقبرةٍ جماعية

في شباط 2014 انسحب تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام من مدن وبلدات حريتان وكفر حمرة والملاح وباشكوي ورتيان باتجاه ماير وأعزاز، بهدف إحكام السيطرة على الشريط الحدوديّ كاملاً، بعد أن سيطر على الراعي وجرابلس ومعبر تل أبيض. ومع عودة حريتان إلى عهدة الجيش الحرّ عُثر على جثّة القدور في مقبرةٍ جماعيةٍ حَوَت أكثر من 30 جثّةً تمّ استخراجها من المعهد المتوسط للكهرباء.

طُويتْ صفحة الجميل قدّور على يد داعش كما طُويت عشرات الصفحات قبله ولا تزال؛ لتعود إلى أذهاننا قصص عشرات المبدعين السوريين الذين تغصّ بهم سجون البعث، ممن لا يزال بعضهم على قيد الحياة.

إيران تنشر التشيّع بين العلويين

رافع محمود

الشيخ دريد قادرو

قبل ثمانية سنوات، في القرى الأبعد على جبال الساحل السوريّ، تغيّر لون بعض قباب المزارات من الأبيض إلى الأخضر مرّاتٍ عدّة، دون معرفة من قام بذلك. لم يكن الأمر مهمّاً لكثيرٍ من الشبان الذين اكتفوا بإعادة لونها إلى سابق عهده، أما «الختايرة» الأكثر ريبةً فأخذوا يتذكرون نشاط جمعية الإمام المرتضى، وتصاعدت شكوكهم مع ظهور رجال دينٍ يخطبون ويوزّعون كتيّباتهم في مجالس العزاء.

لم تتوقف محاولات نشر التشيّع بين العلويين منذ ثمانينات القرن الماضي، ولكنها كانت تنشط وتهدأ تبعاً للظروف السياسيّة والأمنية. محاولاتٌ لم تنجح مع جمعية المرتضى (1981-1983) -بقيادة جميل الأسد- لعدّة أسباب؛ منها وقوفه إلى جانب رفعت في تطلعه لانتزاع السلطة من شقيقهما الأكبر حافظ، وحزم الأخير تجاه أي عبثٍ دينيٍّ من هذا النوع، إضافةً إلى طريقة تعامل دعاة الجمعية مع رجال الدين العلويين بمحاولة رشوتهم والاستهتار بالقيمة العاطفية والرمزية لأماكن خلواتهم. يقول المحامي عيسى إبراهيم (معارضٌ سوريٌّ مقيمٌ في الخارج، وهو حفيد الشيخ صالح العلي) لـ«عين المدينة» عن تلك المرحلة: «لعب النظام عبر جمعية المرتضى بتراث الطائفة الروحيّ عبر دسائس معرفيةٍ كثيرةٍ حين كان مصدر المال والسلطة يقتضيان ذلك، فتمّ إتلاف مزاراتٍ علويةٍ في الساحل». بعد رحيل حافظ الأسد استعادت حملات التشيّع نشاطها بشكلٍ أكبر من خلال السفارة الإيرانية وأذرعها، وحاولت استقطاب شخصياتٍ علوية، فنجحت في حالاتٍ وفشلت في أخرى.

في هذه الأيام يبدو العلويون هدفاً أسهل لمشروع ولاية الفقيه، فنشاط مجمّع الرسول الأعظم والثانويات الشرعية التابعة له في اللاذقية يبدأ من مركز المدينة ولا ينتهي بالقرداحة (بإدارة أوس مرهج) وبقرى سطامو وكرسانا في الشمال، إلى عين شقاق (بإدارة مجد الخيّر، سليل العائلة المشيخية التقليدية) ورأس العين في الجنوب. يقول أيمن (من عين شقاق): «هالمدارس متقرّي نهج الإمام الصادق، بلكي العلويين ينضبُّوا مع بعضن متل ما كانوا». كان أيمن سائقاً في إحدى المؤسّسات الحكومية، ومع اندلاع الثورة أصبح من محدثي النعمة بفضل ما سرقه من بيوت مدينة دوما المنتفضة ضد النظام، لينتهي به المطاف اليوم إلى العمل لحساب ثانوية عين شقاق الشرعية. لا يكترث أيمن -وسواه من مؤيّدي التشيّع- للفروق العقائدية والاجتماعية بين العلويين وأتباع الخمينيّ. ويقصد أيمن بـ«متل ما كانوا» السنوات التي سبقت وصول آل الأسد إلى السلطة، حين كانت للعلويين مرجعياتٌ روحيةٌ-اجتماعيةٌ استطاعت نبذ الخلافات بينها وجمع العلويين قدر الإمكان، وساعدتها في ذلك الجغرافيا ومظالم العهود الطويلة المشتركة.

ترسيخاً لسلطة المستبد عمل حافظ الأسد على إزاحة هذا النوع من المرجعيات، ونجح في ربط الطائفة بمرجعيته السياسية على مدى سنيّ حكمه، ولم يتعب بشار الأسد لتثبيت ذلك. يؤكد المحامي إبراهيم: «سحقَ نظام الأسدين بشكلٍ ممنهجٍ مشايخ الطائفة التقليديين، الذين شكلوا -بما لهم وما عليهم- ضمانةً لاستقرار الطائفة، لمصلحة مجموعةٍ من متقاعدي أجهزة الأمن الذين لا يملكون التحصيل المعرفيّ الواجب. ولم يُسمح بإنشاء أيّ مجلسٍ يدير شؤون الطائفة الروحية والاجتماعية». فراغ المرجعية العلوية هذا سهّل على مجمّع الرسول الأعظم العمل باتجاهين؛ فهو يركز، من جهة، على الأطفال الذين فقدوا آباءهم في طاحون الحرب وأصبحوا عبئاً على أمهاتهم في مصاريفهم الدراسية والمعيشية، فيغريهم مادياً وبفرص دراستهم لاحقاً في إيران أو في الجامعات السورية. ومن جهةٍ أخرى يعمل المجمّع على جذب رجال الدين المؤثرين في أوساطهم، ورجالٍ آخرين كان لهم حضورٌ في ما سبق، وأتاح لهم مشروع إيران استعادة ذلك الحضور الضائع.

عن تدخل إيران في سوريا يقول أيمن: «كتّر خير إيران وحزب الله، لولاهن كنا تدبّحنا كلنا». ينتصر خوف أيمن على عقله، ويُغفِل أن السياسة تغلب الدين. فما يظنّه العلويون يُدعِّم وجودهم الآن سيبتلعهم في المستقبل، ومحاولة ضمّهم إلى مشروعٍ خارجيٍّ بدلاً من تعزيز الروح الوطنية لديهم ستكون أشدَّ خطراً عليهم، وقد تؤدي إلى تصدّع المجتمع العلويّ بين مؤيدٍ لنشر التشيع ومعارضٍ له يرى خصوصيته الدينية ضمن إطار الهوية الوطنية.

يبيّن المحامي إبراهيم الطبيعة السياسية لنشاط إيران في الساحل السوريّ: «هذا المجمّع هو فرع مخابرات ملالي إيران السياسيّ-الدينيّ في اللاذقية. ونشاطه الثقافيّ ليست له علاقةٌ بالدين كعاملٍ وجدانيٍّ فرديّ. هناك فرقٌ جوهريٌّ بين تجديد الهوية الروحية عبر أبنائها وبين النشاط السياسيّ الاستخباريّ لنظام الملالي».

لا أحد يدري ما ينتظر العلويين في سوريا فهم بين نارين؛ نارٍ لم يبادروا إلى إطفائها حين ربطوا مصيرهم بمصير فردٍ يعتبرهم وباقي السوريين عبيداً في مزرعته، ونارٍ مشروعٍ بدأت تتّضح معالمه في محاولة تغيير هويتهم المذهبية والمجتمعية.

غنائم الكتب تحت جسر الرئيس

ناظم الرشيد

«إلى الأخ الأستاذ محمود:
بمناسبة المنزل الجديد، وعذراً، فلا أعرف هدية خيراً من الكتب.
دمشق 5 أيلول 1969».

رغم العقود التي مرّت على الهدية، حفظ الغلاف المتين صفحة الإهداء والصفحات الأخرى من كتاب الملل والنحل للشهرستاني الذي اختاره صديقٌ ما، بتوقيع لم يحدّد الاسم بدقة، هديةً لصديقه محمود.

تؤنس قراءة الإهداءات على الكتب المستعملة قارئها، حتى لو كان تحت جسر الرئيس، أحد أشد الأمكنة وحشةً وتعبيراً عن سورية اليوم، وسورية الأمس، منذ أن دشنه عبد الرؤوف الكسم، رئيس الوزراء في منتصف ثمانينات القرن الماضي، نيابةً عن حافظ الأسد الذي حمل الجسر في وسط دمشق اسمه. لم يتغيّر في هيئة الجسر طوال تلك السنوات شيءٌ تقريباً، غير طلاء أعمدته وحوافه مؤخراً باللونين السماويّ والأبيض المصفرّ، في بادرةٍ تجميليةٍ من الفرق الشبابية المؤيدة للنظام. وعلى الضفة الشمالية من نهر بردى، وراء الرصيف، قام طلاب كلية الفنون بقصّ الأشجار ونحت جذوعها وأسفل سوقها، في مشروعٍ تطوعيٍّ ولاءً لسورية الأسد.

تحت الجسر أربع بسطات كتب، ثلاثٌ منها لبائعين من ما قبل الثورة، والرابعة لعبد الله، الأربعينيّ المتشيّع الهارب من دير الزور إلى دمشق عام 2012، بعد أن لوحق بشبهة ارتباطه وتجسسه لصالح المخابرات. وفي هروبه، أو «نزوحه إلى الشام»، استأنف مهنته السابقة في بيع الكتب. على رأس الجسر الصغير في دير الزور كان عبد الله يعرض كتباً دينيةً فقط، سنّيةً وشيعيّة، في الفقه والتفسير والحديث، مع بعض العناوين في البرمجة اللغوية العصبية الرائجة آنذاك. تضخمت أعمال عبد الله اليوم بغنائم جنود الأسد من غزواتهم إلى مدن الريف الدمشقيّ الثائر ثم المهجّر. يتوقف عنصرٌ من «الدفاع الوطني» بدراجته النارية: «كيفك يا حبيب.. تعا استلم هالرزق من داريا»، كيسٌ كبيرٌ من الكتب يتعاونان على نقله جانباً للتفاوض. يقرّر عبد الله: «10 آلاف». يعدّها فوراً، مع استطلاع سريع لمحتويات الكيس الذي اصطفّ بجانب أكياس أخرى، كلها على الأرجح غنائم حربٍ من مكتبات الجوامع أو المكتبات الشخصية في البيوت.

ربما قتل الأستاذ محمود الذي أهدي إليه الكتاب بغارةٍ جويةٍ أو بصاروخ، وربما مات قبل وقتٍ طويلٍ وظلت مكتبته لدى وارثيه ذكرى من روحه، أو أنه نزح هو الآخر إلى مكانٍ ما في البلاد أو خارجها، بعد الثورة، أو بعد الأزمة، أو بعد المؤامرة التي دبرتها الدول الكبرى كما يقول عبد الله وبعض زبائنه حين يطول وقوفهم وتنفتح شهيتهم للحديث في الشأن العام. «اقرأ منذر الدقاق في كتابه حصاد السياسة»، ينصحني كهلٌ دمشقيٌّ، «لتعرف شو رتبت الدول الكبرى لسوريا من سنين». أجاريه طبعاً وأنا أحاول دفع ثرثرتنا العارضة نحو أيّ ثرثرةٍ أخرى، قبل أن يأخذ بكاءٌ مفاجئٌ من عجوزٍ جالسٍ على الرصيف انتباهنا: «ماتت أم ولادي، وبنتي، بالقصف»، قال العجوز الذي كفّ عن البكاء بسرعةٍ مع اهتمامنا بقصته، ومع كأس الشاي التي طلبها عبد الله، ليغادر مسرعاً دون أن نسأله أين ومتى قتلت زوجته، كأنها ماتت قضاءً وقدراً.

بالرغم من الشبهات التي تلاحق بائع الكتب -إلى درجة أن ورد اسمه كعلم من أعلام التشيّع في دير الزور في دراسةٍ ترصد هذه الظاهرة في المحافظات السورية- الا أنه ظل محافظاً على تهذيبٍ أصليٍّ في طبعه، يبدي تعاطفاً مع «الديريين» عاثري الحظ في الشام، ومع غيرهم، حين يفاوض بعض حاملي «كراتين» الكتب الصغيرة المرتبكين خجلاً من بيعها. اشترى مثلاً «إحياء علوم الدين» ناقصاً أحد أجزائه دون حاجته إليه، مع وجود نسخ أخرى للإحياء في حوزته، وردته مرّاتٍ ضمنَ ما يأتيه من الغنائم التي تحمل طيفاً واسعاً من العناوين، الدينية في معظمها، دون أن تخلو من رواياتٍ وشعرٍ وفلسفةٍ ومذكراتٍ، ومجلاتٍ قديمةٍ متسلسلة الأعداد. ولا يبالي بعرض الكتب الممنوعة منها للبيع، لسيد قطب والندوي والمودودي وحتى ابن تيمية، أو في السحر مثل «شمس المعارف الكبرى» أو «خصائص الأحجار الكريمة»، أو في التاريخ السوريّ المعاصر.

من بين أكوام الكتب المنهوبة يحرص عبد الله على فرز المصاحف ووهبها لأيّ شخص، تعظيماً لها من العرض على الرصيف. وبالمجان يمنح الدفاتر لأيّ مهتمٍّ بها، مهما كانت؛ مفكرات، دفاتر مدرسية، حسابات دين جاري، يوميات شديدة الخصوصية لبشر لم يظنوا يوماً أن أسرارهم ستتبعثر على الأرصفة دون أن يأبه بها أحد. في عيد الأم، في العام 1998، كتبت شابة في دفتر مذكراتها «بعيدك يا ست الحبايب، قرينا ختمة، وساوينا حسنة على روحك... ماما لساكي معنا، لكن من رحتي صار بيتنا فارغ وبارد...»

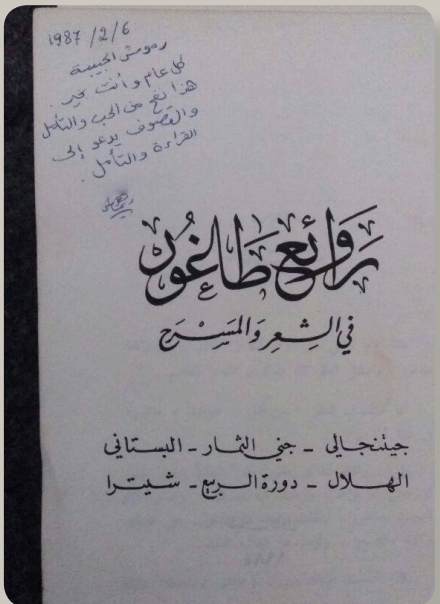

صالح العاني «أبو المهاجر»
حكاية داعشي من عشيرة الشعيطات

صالح العاني (أبو المهاجر)

رضوان الشعيطي

في بلدته الكشكية، إحدى بلدات عشيرة الشعيطات الثلاث، يحاول صالح العاني، المبايع البارز لداعش، أن يظهر بمظهر المعتزل عن التنظيم. ويردّد أمام أهل البلدة أنه تركه لأنه مشغولٌ بشؤونه الشخصية وليس لديه ما يكفي من الوقت للالتزام.

يتمتع العاني بقدر من الحيلة والحذر، مما جعله يفكر في أيامه القادمة. فهو يريد، بابتعاده المزعوم عن التنظيم، أن يفلت من المصير البائس الذي ينتظر «الدواعش» وأن يتنصل مما اقترفت يداه في صفوفهم من قتلٍ وخيانةٍ وسرقة، ومن دوره في تمكين داعش من أبناء عشيرته، ثم ارتكابها المذبحة الفظيعة بهم، صيف 2014.

في أول ذلك العام، وبُعيد طرده من جبهة النصرة، اتخذ العاني لقب «أبو المهاجر» تزامناً مع بيعته السرّية للتنظيم. ثم، وفي أول المعارك ضد داعش حينذاك، ألقي القبض عليه قرب جبهات القتال بصحبة مهاجرين عرب في صفوف التنظيم، أعدموا جميعاً ونجا هو بإقناع آسريه أنه مجرّد سائق ينقل هؤلاء كركاب بالأجرة. أطلق سراحه لكنه ظل على ولائه لداعش، يؤدي ما يكلف به من التجسس وإطلاق الشائعات التي تحط من عزيمة الرافضين للتنظيم. وخلال تنقله من مكانٍ إلى آخر، قبل سيطرة داعش، كان يصطحب ابنته ذات السنوات الثلاث لاستجلاب الرأفة وإثارة الشفقة في أنفس طالبيه تحسباً لوقوعه في قبضتهم. وحين رجحت كفة داعش في صراعها ضد الجيش الحرّ والفصائل الأخرى، أخذ أبو المهاجر يتوعد الجميع، قادة كتائب، إعلاميين، مستولين على آبار نفط، ناساً عاديين، وكل من لا يروق له. وصار يدعو علناً إلى بيعة التنظيم ويبشر بدولته الوشيكة: «هاي دولة ناس مثل الصحابة، ما يهمها دنيتكم، وما تريد شي غير تعلمكم الدين». وعندما شرّدت داعش عشيرته وقت المذبحة، راح يساوم شبان الشعيطات الهاربين من الموت على دفع 10 آلاف دولار مقابل ورقة تزكيةٍ وهميةٍ بتوقيعه بصفته «الأمير أبو المهاجر» وبختم «الدولة الإسلامية» المزوّر. قادت أوراق التزكية تلك عشرات الشبان إلى حتفهم على حواجز داعش في طرق محافظة دير الزور. وفضلاً عن انشغاله بملاحقة المطلوبين والإيقاع بهم تتبع أبو المهاجر الأموال والأسلحة المخبأة، وخاصة لدى المسيطرين سابقاً على آبار النفط. وارتكب في تتبعه هذا جرائم عدّة، كان أشهرها اعتقاله طفلاً في الثالثة عشرة من العمر ليدله على خزنة مال عمه المتحكّم في أحد الآبار. وبعد أن عثر عليها، بإرشاد الطفل، قتله بذريعة بلوغه وبتهمة الردة. وبناءً على هذه التهمة برّر هوايته في مشاركة الدواعش تقاذف الرؤوس المقطوعة أو ركلها في أوقات التسلية عقب كل واقعة ذبح، كما ينقل أهل الكشكية وأبو حمام وغرانيج عن الرجل الذي حرص -رغم استهتاره بالدماء- أن يبني سمعةً مضادةً بأنه يساعد الناس ويبذل ما يستطيع لإنقاذ أبنائهم. إذ روى بعض الأسرى أنه كان سبب نجاتهم من الذبح في إصدار داعش الشهير «فشرّد بهم من خلفهم»، واتهم، في الوقت عينه، أنه حاول أن يزجّ ببعض آخر من الأسرى في حقل العمر النفطيّ، آنذاك، في الإصدار ذاته، لولا تدخل أبو عثمان الليبي، أحد أبرز المسؤولين عن مذابح الشعيطات، الذي طرد أبو المهاجر من الحقل مقابل رشىً ضخمةٍ تلقاها من ذويهم.

قبل الثورة، عرف صالح العاني بمغامراته الطائشة وفشله المتكرّر في كل مهنةٍ امتهنها، سمساراً يزعم قربه من مسؤولين حكوميين تارة، أو تقنياً في صيانة التلفزيونات تارةً أخرى. وبين حينٍ وآخر كان يعود إلى العمل الذي يستهويه في تهريب المواشي من العراق إلى سورية، وربما تهريب «مجاهدين» في الطريق المعاكس بعد الغزو الأميركيّ للعراق، حسب بعض ما يروى عن سيرة الرجل الذي سجن مرّاتٍ عدة، إحداها في سجن صيدنايا حيث مرّ بسلفيين جهاديين ادّعى أمامهم أنه يحمل الفكر الذي يحملون. وبعد خروجه من صيدنايا كان يثرثر ببعض ما سمعه هناك عن الجهاد والكفر والتوحيد، مما أهّله، فضلاً عن تجربة سفرٍ إلى ليبيا بغاية العمل، ثم تهريباً بسفرٍ آخر إلى العراق، ليكون ابن الجوّ الذي حلّ على دير الزور، مع مهاجري جبهة النصرة في العام 2012 والعام التالي، فبرع في التقرّب من أمرائها والفوز بثقتهم، فبايع الجبهة وتسلم منها أموالاً طائلةً لوظائف شتى، قبل أن تخلع بيعته عقوبةً على سلسلة سرقاتٍ أكيدةٍ اتهم بها.

في عهد داعش كان لأبو المهاجر حظوة لافتة لدى مهاجريها أيضاً، بخاصة الليبيين منهم، تعززها خبرته باللسان والطباع والنزوات، مما مكنه من إحراز نفوذ واسع استغله لجني الأموال، والتنصل عن أي مشاركة خطرة بأي من معارك التنظيم خشية الموت، إذ فرغ نفسه شكلياً كمسؤول صغير في ديوان الخدمات، قبل أن «يعتزل» اعتزاله الأخير، بـ«مالي شغل مع الجماعة» ويتفرغ لتجارة الوقود والسيارات والبضائع.

روسيا من طرفٍ في الصراع السوريّ إلى حكمٍ بين طرفين؟

لم يكن جثمان السفير الروسيّ في تركيا، أندريه كارلوف، قد دفن بعد حين اجتمع وزراء الخارجية والدفاع لروسيا وإيران وتركيا في موسكو، حيث أصدروا بياناً مشتركاً لوضع تصوّر لحلٍّ سياسيٍّ للمشكلة السورية، بدءاً بوقف إطلاق نارٍ شاملٍ على الأراضي السورية، تستثنى منه داعش والنصرة، وصولاً إلى عقد طاولة مفاوضاتٍ بين النظام والمعارضة في عاصمة كازاخستان.

بكر صدقي

بعد أقل من أسبوع حدّد يوم الثلاثين من كانون الأول لبدء تطبيق وقف إطلاق النار، بعد حصول موسكو على موافقة كلٍّ من النظام والقسم الأهم من الفصائل العسكرية للمعارضة. بالقياس إلى المحاولات السابقة لوقف الحرب وإطلاق حلٍّ سياسيّ، نلاحظ زخماً كبيراً لا سابقة له، يعبّر عن إرادةٍ روسيةٍ قويةٍ للدفع نحو إنهاء الحرب.

قد يكون من المبكر التكهن بنجاح وقف إطلاق النار من عدمه، وقد دخل حيّز التنفيذ قبل ساعاتٍ قليلةٍ من كتابة هذه السطور. وتمتلئ سوق التكهنات بتوقعات إفشال العملية من قبل إيران على رغم مشاركتها في اجتماع موسكو الثلاثيّ الذي أطلق دينامية الحل على الطريقة الروسية، وذلك بالنظر إلى التباين الواضح في الأهداف بينها وبين روسيا، كما بالنظر إلى سوابقها.

لكن هذا الجنوح الروسيّ المفاجئ نحو السلم بحاجةٍ إلى تفسير. فلا يقتصر الأمر على محاولةٍ لتثمير الانتصار على حلب، بالنظر إلى الواقعة الجوهرية التالية: تخلي الروس عن وصف كلّ من رفع السلاح في وجه النظام الكيماويّ بالإرهابيّ، واعترافهم بوجود معارضةٍ مسلحةٍ معتدلةٍ يدعونها للجلوس إلى طاولة المفاوضات مقابل وفد النظام. بل هناك لغطٌ حول استثناء جبهة فتح الشام (النصرة سابقاً) من عدمه من اتفاق وقف إطلاق النار، الأمر الذي قد يعني خضوع هذا الأمر لمساوماتٍ بعيداً عن الإعلام.

يمكن القول، بطريقةٍ أخرى، إن اعتراف الروس بالمعارضة المسلحة هو من متطلبات التثمير السياسيّ لانتصار حلب. بمعنى أن تحويل النصر العسكريّ إلى اتفاقٍ سياسيٍّ يتطلب اعترافاً بالعدو، قبل أن تجلس معه وتتفق على حلٍّ للصراع. وفي حين لا يملك النظام، ومن ورائه إيران، غير السحق الكامل للعدو، لا يفكر الروسيّ بالطريقة نفسها، بل بفرض حلٍّ على العدو يتناسب مع نتائج النصر الميدانيّ. وهذا ما يفترض وجود العدو على طاولة المفاوضات، أي الاعتراف به كطرف.

من ناحيةٍ أخرى، لا يبدو الطرف المعارض، وفقاً للاتفاق الذي تم توقيعه بإشراف روسيٍّ-تركيّ، في موقفٍ شديد الضعف كما قد توحي هزيمته الطازجة في حلب. بل هو ندٌّ للنظام يفرض بعض الشروط قبل التوقيع، كما تقول تسريباتٌ شائعة. كذلك لا يبدو ظهيره التركيّ في وضع الملتحق الذليل بالموقف الروسيّ كما يفترض مسار العلاقات الروسية التركية بعد اعتذار أردوغان من بوتين وتخليه عن شرط الإطاحة بالأسد، وبصورةٍ خاصةٍ بعد اغتيال السفير الروسيّ في قلب العاصمة التركية، ما يرتب مسؤوليةً على الحكومة، على الأقل لجهة التقصير في الحماية الأمنية للسفير.

الخلاصة أن روسيا، التي دخلت الحرب السورية طرفاً، تبدو وكأنها تريد الخروج منها حَكَماً بين طرفين، وإن كانت قد أوقفت الطرف الذي دعمته طوال 15 شهراً على قدميه، لتجعل منه شريكاً نداً لعدوه. ربما يتعلق الأمر بأن العملية العسكرية الروسية قد وصلت، بإسقاط حلب، إلى أقصى ما يمكن لروسيا تقديمه للنظام السوريّ، أو بالشرخ الذي أخذ يتسع مؤخراً مع إيران.

لكن الأهم، برأيي، هو استعداد روسيا بوتين لفتح صفحةٍ جديدةٍ مع الولايات المتحدة بقيادة دونالد ترامب، خاصّةً وأن الفريق الذي جمعه ترامب للعمل معه لا ينبئ بأيّ استمرارٍ في السياسة الخارجية كما كانت عليه طوال السنوات الثماني السابقة. أراد أوباما زرع إسفينٍ بين ترامب وبوتين، حين قرر طرد 35 شخصاً من البعثة الدبلوماسية الروسية، على أمل أن يرد بوتين بالمثل. لكن بوتين تصرف بـ«ذكاء» على حد تعبير ترامب، فلم يوافق على طرد عددٍ مماثلٍ من البعثة الأميركية في روسيا على ما اقترحت الخارجية الروسية.

هذه واقعةٌ ذات دلالةٍ كبيرة، قد تشكل نمط العلاقة الروسية-الأميركية في المرحلة المقبلة: أي الانحناء الروسّي المسبق للقوة الأميركية، بدلاً من إرغامها على الانحناء. ينطبق المبدأ نفسه، إذا صح، على تحول روسيا من طرفٍ في الحرب السورية إلى حكم، وابتعادها المتدرّج عن إيران بما يتفق مع توجهات إدارة ترامب المعلنة تجاه الجمهورية الإسلامية.

في الهدنة..
امتحانٌ آخر أم فرصةٌ لالتقاط الأنفاس؟

مظاهرة في أول ايام الهدنة - إدلب - عدسة لؤي أبو مصعب - سيريا اغراف

يحقق اتفاق الهدنة بين نظام الأسد وفصائل المعارضة السورية المسلحة مكاسب هامةً للمعارضة تبدو في أمسّ الحاجة إليها في ظلّ النكسات العسكرية المتتالية التي منيت بها، وحالة الخذلان من أصدقائها المزعومين، وتنمّر داعمي بشار الأسد وولاة أمره.

المقدم محمد العبود*

فتغدو أيّ فرصةٍ تتاح لأذرع الثورة المقاتلة لوقف إطلاق النار، والحفاظ على ما تبقى من أرضٍ في حوزتها، فرصةً ثمينةً ينبغي عليها التمسك بها، مهما كان شكل المقترح السياسيّ المطروح كحلٍّ بعيد، إلى حين التغيّر المأمول، مع الإدارة الأميركية الجديدة، لموازين القوة على جبهات الصراع وبين الأطراف المعنية بالشأن السوريّ.

ينطوي توقف الحرب عند خرائط السيطرة الراهنة على مصلحةٍ من مصالح الثورة لأنه يعطّل سياسة التهجير الجماعيّ التي يزمع النظام تطبيقها في كلّ الجيوب والمدن المحاصرة، مثلما فعل في بعض مدن الريف الدمشقيّ والجزء المحرّر من مدينة حلب، ولأنه يمنع آلة القتل في يد النظام من إزهاق المزيد من الأنفس في صفوف السكان المدنيين في المناطق المحرّرة، ويمنح القوى الثائرة -من غير المقاتلين- القدرة مجدداً على استعادة دورها الذي قوّضته الحرب وحماقات بعض الفصائل المسلحة وغطرستها. وعلى هذه الفصائل وغيرها أن تغتنم الوقت لمراجعة الذات وتكفّ عن الأوهام وتتذكر، أو يتذكر قادتها، أن أصل كل ما جرى ويجري كان انتفاضةً ضد الظلم والفساد وطلباً لأهدافٍ شديدة الوضوح في الحرية والكرامة والمساواة، لم يكن بينها ولن يكون أهدافٌ أو مشاريع أخرى. يصعب التنبؤ هنا بذكاء هؤلاء ووعيهم وقدرتهم على تعلم الدروس، لكن، ووفق ما مرّ من تجارب كانت مؤسفةً على الدوام، يجب على قوى الثورة بأشكالها كافةً ألا تراهن مرّةً أخرى على حكمة من أسهم في تكريس دعاية النظام، وكاد يجعل من أكاذيبه حقيقةً بأنه «يواجه إرهابيين فحسب».

استثنى الاتفاق جبهة فتح الشام وغيرها من الحركات والجماعات المصنّفة على قائمة الإرهاب من الهدنة، دون أن يحدّد الأسلوب العمليّ للتعاطي مع هذا الاستثناء. لكن مع ما يتسرّب من أنباءٍ غير مؤكدةٍ ستكون مقرّات الجبهة والفصائل المستثناة، ونقاط تمركزها، أهدافاً للهجمات الجوية فقط. لن يفوّت طيران الأسد هذه الفرصة لإلحاق أكبر قدرٍ من الأذى بالسكان أو بمقرّات الفصائل المشمولة بالهدنة قرب هذه الأهداف، ما قد يفرغ الاتفاق كله من محتواه، ويمحو منعكساته البناءة على الأرض، ويرفع من درجة الاستقطاب بين القوى المستثناة وتلك المشمولة بالاتفاق، ويعزّز من احتمالات الاقتتال بينها، وهي الاحتمالات القائمة على أيّ حال.

وإن سلوك الفصائل المسلحة، ثم قوى الثورة الأخرى، وشكل استجاباتها لجملة تحدياتٍ ومخاطر ناشئةٍ ينفتح عليها الباب مع استقرار الهدنة، إن تحقق، سيحدّد، إلى جانب عوامل أخرى، فشل رهانات النظام في الاتفاق أو نجاحها. فهو يستطيع الآن أن يفعّل أذرعه المزروعة في بنى الثورة وفي عمق المجتمعات الحاضنة لها لتعيد من تتمكن من إعادته إلى بيت الطاعة على شكل مصالحاتٍ وتسويات وضع، ولنا في ما يُسمع أو يحدث في درعا بين حينٍ وآخر مثالٌ قد يتكرّر في مدنٍ وبلداتٍ وقرى أنهكها الموت والجوع وتبدد الآمال. وليس سراً عودة النظام كخيارٍ مطروح في وعي عامٍّ لأوساطٍ مجتمعيةٍ معظمها وجد نفسه فجأةً في بيئاتٍ محرَّرة، ولم يجتذبها نموذج الثورة وقت تألقه لتصبر عليه اليوم وقت الانكسار. ومثلها زمرة الانتهازيين في صفوف الثورة وغيرهم من المفلسين أصلاً أو عرَضاً من القيم الملهمة للصمود.

لن تشكل هذه الهدنة نهاية المطاف، وستندلع النيران مجدداً. فقد يعجز الضامن الروسيّ عن الوفاء بتعهداته حتى لو أخلص لها، وسوف تظل لإيران، غير المستسيغة للاتفاق، القدرة، متى اضطرّت، على نسف ما اتفق عليه وإشعال الحرب ثانية، مما يفرض على الفصائل المقاتلة أن تستعد وتعيد تشكيل ذاتها في جسمٍ أو أجسامٍ موحدةٍ ومهنيةٍ ومنضبطة، وأن تتحلى بالوعي وبالمسؤولية لتدرك الأهوال المحدقة والمآلات الأليمة التي يراد لهذه الثورة أن تؤول إليها.

يفسح اتفاق الهدنة، إن صمد، المجال لأن تُطرح الثورة مرّةً أخرى كمشروعٍ وطنيٍّ إن أحسن الثوار استثمار الفرص التي يتيحها الاتفاق، وإلا ستحمل الأشهر القادمة المزيد من الانحدار.

* قائد الجبهة الشرقية الأسبق، وعضو وفد الهيئة العليا للمفاوضات.

إنعاش الذاكرة على وقع إعلان الهدنة

نشوان الصالح

لا يكفي الكثير من جلد الذات لاجتراع الهزيمة التي تمت، الخميس 29-12-2016، بالتوقيع على هدنةٍ شاملةٍ بين النظام من جهةٍ وأحفاد عبد الله علوش من جهةٍ أخرى. لكن إنعاش الذاكرة ببعض ما حصل قد يفتح العقول على اليسار الغبيّ المسالم واليمين المتذاكي المجرم.

ولأن أول أيام الهدنة صادف يوم الجمعة، علينا أن نتذكر جمعة «لا للحوار» وصفحة «الثورة السورية» ونتساءل حول «فداء السيد - الإخونجي»، أحد أهم مؤسسي الصفحة التي تلاشت بعدما وصلت الحالة السورية إلى نقطة اللا عودة. أتت جمعة لا للحوار بعد 4 أشهرٍ فقط من انطلاقة التظاهرات، في سياق التأسيس لتخوين أي طرفٍ يذهب لحوار النظام أو التفاوض معه.

وعلينا أن نتذكر مظاهرة باب هود في حمص 31-12-2011، والتي رفعت البطاقات الصفراء في وجه برهان غليون، رئيس المجلس الوطنيّ آنذاك، لتوقيعه على ما يشبه وثيقة مبادئ مع هيئة التنسيق (دفع ماجد سليمان «أبو البراء»، أحد أعضاء «مجلس ثوار دير الزور»، مبلغ نصف مليون ليرةٍ سوريةٍ لإخراج مظاهرة مثيلةٍ في دير الزور لإسقاط جورج صبرا)، ونفتح باب الأسئلة حول الجهة التي تبنّت النموذج الليبيّ وشكلت المجلس الوطنيّ كمقدمةٍ لإقناع الجماهير بقرب التدخل العسكريّ الغربيّ كما حدث في ليبيا بعد تشكيل مجلسها الوطني الانتقاليّ. وهنا يُقرّ «معاذ السراج»، القيادي البارز في الإخوان المسلمين، أن الجماعة هي من دفعت الأموال وجمّعت المعارضين وشكلت المجلس.

ولأن الشيء بالشيء يذكر، علينا أن نتساءل لمَ كل ذلك السخط على هيئة التنسيق، ونعود بهذا التساؤل إلى مؤتمر حلبون في 17-09-2011 واللاءات الثلاث (لا للتدخل العسكري - لا للطائفية - لا للعنف). فـ«اللا» الأخيرة هنا كانت تؤرق مستثمري الحروب من دول الخليج التي دعمت بكل طاقتها عسكرة الثورة عبر التنظيمات الاسلامية، وبالتالي القضاء على أمل «اللا» الأولى.

ولأن الشارع الذي يفيض بالحماس بدا متقدماً بالتضحيات حيناً وبالمزاودة أحياناً على كل أطياف المعارضة السياسية؛ كان على بعض المعارضين من أمثال ميشيل كيلو الخروج فوراً إلى الإعلام بعد مؤتمر حلبون ليعلن عدم انتمائه إلى هيئة التنسيق وحضوره المؤتمر كضيف، ومن أمثال صبحي حديدي الشيوعي الذي ينتمي إلى صفوف حزب الشعب والذي آثر البقاء على مسافةٍ من جميع أطياف المعارضة للتفرغ لنقدها. حديدي، في مقاله اللاذع عن مبادرة هيئة التنسيق*، لم يألُ جهداً في تسخيف وتتفيه الهيئة ولاءاتها الثلاث وإفراغ المبادرة من محتواها، خاتماً مقالته بـ: «ثمة خلاصة واقعية، قديمة ولكنها تتجدد اليوم مع مبادرة «هيئة التنسيق»، سبق أن بلغها قياديون في الهيئة ذاتها: هنالك معارضة تريد إسقاط النظام، وأخرى تريد تغييره من داخله. الدرس المرير، في المقابل، هو أنّ النظام ساقطٌ لتوّه، وانهياره الختامي مسألة وقت؛ والطامحون إلى مصالحته مع الشعب والمستقبل والحياة هم، في أفضل توصيف رحيم، مراهنون على رماد متطاير، وسط لهيب متصاعد». لم يتمهل حديدي، ولو لحظةً واحدة، لينظر في كلفة الدم المقابلة لإسقاط نظام شموليٍّ حصّن نفسه لمدة أربعين عام، وعبّر بشدّةٍ عن قصور المثقف السوريّ في استشراف المستقبل، هذا المستقبل الذي تجلى بالأمس باتفاقٍ أسلم للريح دماء نصف مليون شهيد، ببنودٍ لم ترقَ إلى مبادرة هيئة التنسيق ذاتها، والتي رفضها الجميع تماشياً مع غوغائية الشارع.

وعلينا أن نتذكر أيضاً أن صقور هيئة التنسيق، من أمثال هيثم مناع ورياض درار، الذين لم يكونوا على سوية خطاب الهيئة المتمسك بالسلمية المطلقة وحوار النظام على عكس المجلس الوطنيّ. فبمجرّد خروجهم من الهيئة توجهوا إلى التحالف مع أبشع الفصائل العسكرية الكردية «حزب الاتحاد الديمقراطي»، أول المقتطعين حصتهم من البلاد.

لم نقدّر حجم قوتنا وأدواتنا كما يجب، ولم ندرك أنه لا بواكي لنا، وصعّدنا المطالب دون أي رؤيةٍ سياسيةٍ واضحة، وقمعتنا الفصائل الإسلامية في منتصف الطريق ليصبح الحديث عن الحرية والديمقراطية ضرباً من الكُفر والشرك، تلك الفصائل ذاتها التي وقعت على اتفاق أنقرة، بحجة حقن دماء السوريين اليوم، بعدما أهدرتها بالأمس.

---

* مبادرة هيئة التنسيق:

أولاً: التوافق على هدنة مؤقتة بين جميع الأطراف التي تمارس العمل المسلح، وفي مقدمتها قوى النظام.

ثانياً: يطلق الطرفان، خلال أسبوع من بدء سريان الهدنة، سراح جميع المعتقلين والأسرى والمخطوفين.

ثالثاً: يسمح الطرفان لهيئات الإغاثة بإيصال المعونات الغذائية والطبية وتسهيل معالجة الجرحى.

رابعاً: في حال التزام الأطراف المعنية بما سبق، يكون المناخ قد توفر لإطلاق عملية سياسية، تقوم على التفاوض بين قوى المعارضة وبين وفد من النظام يملك صلاحيات تفاوضية مطلقة، يضم شخصيات لم تتلوث أيديها بالدماء، من أجل البدء بمرحلة انتقالية محددة المدة (سنة)، تهدف إلى تحضير البلاد من أجل التوصل إلى نظام ديمقراطيٍّ تعدديٍّ برلمانيّ.

في حلب:
يحتفل بعض الأهالي بموت آخرين!

أحمد عيشة

أحد الجوانب المؤلمة في ما تعرّضت له حلب، وما زالت تئنّ تحت ثقله، جانبٌ غير عسكريّ. فبعد الحمم النارية التي لم تنلها أيّ مدينة، في تلك المساحة الممتدة من صلاح الدين في جنوبها الغربيّ حتى مساكن هنانو في شمالها الشرقيّ، والتي كست كلّ مترٍ مربع منها بقذيفةٍ أو ببرميلٍ وبآلاف الرصاصات؛ يأتي القتل المعنويّ الذي مارسه ويمارسه جزءٌ من سكان المدينة نفسها تجاه شطرها الآخر.

فقد شاءت الظروف والصراعات والولاءات وغيرها من العوامل أن تقسم حلب إلى غربٍ وشرق. يسيطر على القسم الغربيّ ما تبقّى من قوات النظام من جيشٍ وشبّيحة، وتعيث فيه فساداً الميليشيات الشيعية من لبنان والعراق وأفغانستان تحت القيادة والرعاية الإيرانية، التي يبدو أن لها السيطرة الأولى حتى على عناصر النظام وشبّيحته، وما تختزنه أو تدّعي اختزانه من مظلوميةٍ زائفةٍ تبرّر نزعة الانتقام اللامحدودة تجاه المدينة وسكانها. الجزء الغربيّ هو القسم المنظّم من حلب، والأكثر غنى وتخديماً، فضلاً عن وجود أغلب الدوائر الحكومية فيه، والأهم من ذلك وجود الفروع المخابراتية والمراكز العسكرية الرئيسية، ويقطنه السنّة والمسيحيون والأرمن.

أما القسم الشرقيّ من المدينة، الذي تمكن الجيش الحرّ من السيطرة عليه في منتصف عام 2012، فكان قبل ذلك مكاناً للتظاهرات السلمية. ويتكوّن، في غالبيته، من أحياءٍ عشوائيةٍ تسكنها غالبيةٌ من أصولٍ ريفية، من العرب والتركمان والأكراد، كلهم من المسلمين السنّة، وربما يفسّر هذا جزئياً التوحش الإيرانيّ في معاملة البشر هناك.

طيلة السنوات الأربع الماضية لم يمّر يومٌ، تقريباً، لم يتعرّض فيه الجزء الشرقيّ لعمليات قصفٍ وقتل، ناهيك عن الحصار والتجويع مؤخراً، إلى أن تمكنوا في الشهر الماضي من إخضاعه بعد تدميره شبه الكامل. فنتجت عن الاجتياح عمليات نزوح جماعيٍّ إلى الأحياء الواقعة تحت سيطرة النظام أو قوات البيدا الكردية، أو الخروج من المدينة. فسادت، بعد كلّ ذلك القتل، نماذج جديدةٌ من الرعب تتمثل في الاعتقال والاختفاء والمعاملة المهينة التي تستهدف الآدمية قبل كل شيء. أما الأكثر بشاعةً فهو كيفية تلقي الأهالي أو الساكنين في الجزء الغربيّ لهؤلاء المشرّدين والهاربين من الموت ليعانوا مظاهر تنكيلٍ جديدةً من المخابرات والفصائل الشيعيّة، ومن فرح بعض الأهالي بتشريدهم وموتهم. فالمظاهر التي اجتاحت بعض شوارع المدينة، من المسيرات بالسيارات والهتافات للأسد ولبوتين ولنصر الله، أي للقتلة تحديداً، لتعبّر عن شكرهم على «تحرير» مدينتهم من «الإرهابيين»؛ كانت الخنجر الأكثر إيلاماً في صدور هؤلاء الهاربين من موتٍ إلى موت. الهتافات والزغاريد في طرف، والاستغاثات والموت وأنين الجرحى في الطرف الآخر!

يكشف هذا عن إحدى الركائز التي اعتمدها النظام في دعم حكمه المزمن، وهي زرع الكراهية بين الناس، بين كل فئات المجتمع، ومحاولة تسخيرها في الوقت المناسب، لمصلحته أولاً، ولاستكمال عملية التفتيت الاجتماعيّ، الذي كان همه الأول، ثانياً.

فغير اعتماده على القوة العسكرية وتوغل أجهزة مخابراته في كثيرٍ من التفاصيل الصغيرة لحياة الناس، اعتمد النظام وسائل أخرى في عملية التفتيت، من تقديم امتيازاتٍ لبعض رموز العشائر عبر مناصب لا تقل تفاهةً عن أصحابها وحرمان رموز أخرى منها، وربط فئة محدثي النعمة باستمرارية العطاء بمقدار الارتباط والولاء، ناهيك عن الصراع الحضريّ الريفيّ التاريخيّ في بلداننا، الذي عمل النظام على تقويته بدل محاولة التخفيف من آثاره. حتى تمكن، عبر تلك الآليات، من زرع وتنمية حالةٍ من الكراهية في نفوس غالبية سكان المناطق التي يسيطر عليها، وتحويل تلك العواطف إلى قوّةٍ ماديةٍ تجسّدت في سلوكٍ غير أخلاقيٍّ تجاه أخوةٍ لهم تعرّضوا لكل أشكال القتل والرعب والدمار.

ربما تتشكل في زمن الحروب هوياتٌ معينة، غالباً ما تكون «قاتلة»، تستند إلى عصبياتٍ دينيةٍ أو قبليةٍ أو عقائدية. أما في حلب فغالبية السكان في الطرفين من عرقٍ واحدٍ هو العربيّ، ومن دينٍ واحدٍ هو الإسلام، وحتى من مذهبٍ واحدٍ هو السنّي. وهنا نصبح أمام عصبويةٍ جديدةٍ قائمةٍ على الكراهية مقابل نوعٍ من الاستقرار الموهوم، وخوفاً من حالةٍ افتراضيةٍ قد تنال أصحابه. ربما هي حالةٌ جديدة، ولكنها فجائعيةٌ على كلّ حال.

حين تغنّى بشار الأسد بأن النسيج الاجتماعيّ السوريّ قد تحسّن كان يقصد النسيج القائم على القمع والخوف والكراهية، عندما يرقص جزءٌ من أبناء المدينة على أجساد آخرين منها مقابل فتاتٍ من الخبز.

أقدار سجينات سوريا السابقات

ليزي بورتر
موقع newsdeeply-22 كانون الأول
ترجمة مأمون حلبي

تروي النسوة اللواتي احتُجزن في السجون السورية عن انتهاكاتٍ نفسيةٍ واعتداءاتٍ جنسيةٍ وحالات تعذيب. لكن بالنسبة إلى كثيراتٍ منهنّ فإن المعاناة العاطفية والجسدية التي يعشنها بعد إطلاق سراحهنّ هي أسوأ.

عندما رفضت لونا وطفة الكشف عن أيّ معلوماتٍ للمحققين أخذوا ابنها، 17عاماً، وهددوا بتعذيبه. تقول: «وضعوا يديه وراء ظهره وقميصه فوق رأسه واقتادوه». وطفة، البالغة من العمر 35 عاماً حالياً، كانت طالبة حقوق عندما اندلعت الثورة الشعبية في سوريا عام 2011. عندما شهدت قوات الأسد تطلق النار على الناس وتضرب المحتجّين قرّرت أن تكرّس نفسها لتوثيق ما كانت تشاهده. في كانون الثاني 2014 اعتقلها رجال الشرطة من أحد شوارع دمشق، واصطحبوها إلى منزلها وطلبوا حاسوبها واعتقلوا ابنها مهدّدين إياه أيضاً. تقول: «حاولت أن أقول إنهم لا يملكون الحق في أخذه. نظر الشرطي إليّ وضحك مجيباً: «أنا القانون، وأستطيع أن أفعل ما أشاء».

كانت منى محمد عبود، 29 عاماً، معلمةً في بداية الثورة، وخصماً صريحاً وعنيداً للنظام. اعتقلتها أجهزة الأمن مرّتين. تقول إنها، أثناء مدّة اعتقالٍ دامت 63 يوماً، عام 2014، كانت عرضةً للتعذيب، بما في ذلك الصعق بالكهرباء والضرب والتجويع، وما تزال تعاني آلاماً جسدية من آثار التعذيب. «لم يكن ثمة عيشٌ في المعتقل. مجرّد جحيم وجوع. قوّات الأمن لا تحاول قتلك. إنهم يريدون إبقاءك حياً، فقط حياً، لا أكثر».

لونا ومنى غيضٌ من فيض من اللواتي اعتقلهنّ النظام في سوريا منذ بداية الثورة. لا توجد أيّ أرقام رسمية حول عدد النسوة اللواتي احتُجزن في السجون الحكومية، لكن تقريراً صدر في تشرين الثاني الماضي عن الشبكة السورية لحقوق الإنسان أشار إلى أن أكثر من 8400 أنثى، بينهنّ 300 فتاة، موجوداتٌ حالياً في سجون النظام، وحوالي 5000 أنثى أُبلغ عن وجودهنّ لدى مجموعاتٍ متشدّدة. كثيراتٌ من المحتجَزات يواجهن الوحشية والعنف الجنسيّ، لكن الصراعات التي يواجهنها بعد إطلاق سراحهنّ -الإقصاء والعار والعلاقات المحطمة ومسائل صحية- قد يكون التأقلم معها أصعب من التأقلم مع الاحتجاز.

عندما كانت لونا في سجن الخطيب في دمشق ضُربت في إحدى المرّات بقسوةٍ شديدةٍ إلى درجة أنها ظلت ثلاثة أيامٍ عاجزةً عن المشي. لم تغتصب. لكنها كانت، ونسوةٌ أخريات، هدفاً للتحرش الجنسيّ. وتقول منى إن مدير سجن عدرا المركزيّ كان يقول للمعتقلة إنه يستطيع تأمين طعامٍ أفضل وإيصال رسائل إلى أهلها إن نامت معه.

لكن لدى إطلاق سراحهنّ اكتشفت كلٌّ من لونا ومنى أن بعض الأمور أسوأ من أهوال الاعتقال. جزئياً، بسبب الاعتقاد الثابت أن السجينات قد اغتصبن فإن كثيراتٍ منهنّ تبتعد عنهنّ الحلقة الصداقية والأسرية حالما يخرجن من السجن.

يقول صخر إدريس، من مجموعة العمل من أجل معتقلات سوريا، إن فريقه كثيراً ما يلتقي سجيناتٍ سابقاتٍ يعانين الرفض الاجتماعيّ وانهيار العلاقات بعد إطلاق سراحهنّ. «كثيراتٌ يطلقهنّ أزواجهنّ بعد إطلاق سراحهنّ، أو يزوَّجن قسراً لشخص لا يردنه، أو، كردّة فعلٍ على المجتمع، يخلعن حجابهنّ ويسافرن إلى أوروبا بعيداتٍ عن أمهاتهنّ وآبائهنّ ومجتمعاتهنّ». تقول لونا: «يشعر المرء أن النظام لم يأخذ أيّ شيءٍ منه، لكنهم أخذوا روحه. أكثر ما يؤلمني هو أنني بعد إطلاق سراحي ومشاهدة أطفالي لم أشعر بأيّ شعور! أسوأ ما في الاعتقال هو أنهم أخذوا مشاعري». توصلت سيما نصار، مؤلفة تقريرٍ حول هذا الموضوع، إلى أن اعتقال النسوة في سوريا يسهم في تفكك المجتمع في البلاد وفي الهجرة القسرية.

هناك تصميمٌ بين المعتقلات السابقات على إيجاد بصيص ضوءٍ في الفصول المعتمة من ماضيهن. لونا ومنى كلتاهما تعملان على التخفيف من الوصمة التي تحيط باللواتي اعتقلن. تقول منى: «بالنسبة إليّ، الهدف الأكبر هو عدم خيانة صديقاتي في سجن عدرا».

في تشرين الثاني الماضي تلقت لونا أخباراً تفيد بأنه سيُسمح لأولادها بالانضمام إليها في ألمانيا. تقول في رسالةٍ مؤخراً عبر الواتساب: «إنهم هنا. كل شيءٍ على ما يرام. أستطيع أن أرتاح الآن بشكلٍ أفضل».

آل الطبل وسناء دعدوع والفيل يا ملك الزمان

سناء دعدوع وزهير رمضان

بعد أشهر من غيابها عن الاحتفالات والأنشطة العامة التي تموّلها باسم شركتها قسورة، ظهرت سناء دعدوع مكرَّمةً قبل أيام في افتتاح مهرجان حماة المسرحيّ في دورته الجديدة التي أقيمت تحت شعار «مسرحنا.. صمودنا».

بهذا الظهور والتكريم من قبل زهير رمضان، نقيب فناني الأسد، تقديراً لدورها في تمويل المهرجان، تبدو دعدوع متغلبةً على المحنة التي ألّمت بعائلتها في محل إقامتها في مدينة بانياس، حين ثار أهالي حيّ القصور الموالي للنظام هناك ضد عائلة الطبل، إثر تعدي أبنائها بالضرب وإطلاق النار على بائع مازوت من أبناء الحيّ، ما آلم قاطنيه الذين تشدّهم روابط الطائفة والمنبت الريفيّ والفقر، إزاء «سنّية» العائلة الوافدة من محافظة إدلب، وإزاء الدعم والثروة الطائلة التي تتمتع بها. خرج أهالي الحيّ في مظاهرة انتهت باعتصام أمام مقرّ شركة قسورة، ليحيّوا «سيادةَ الرئيس» ويجددوا له الفداء بالدم والروح ويناشدوه أن يؤدب «دواعش الداخل» هؤلاء.

على يمين ويسار العقيد التوأم رؤوف ورأفت الطبل ابنا سناء

أحرج السلوك الطائش لأبنائها، وأولاد عمهم وأتباعهم، سناء دعدوع، وهي القائد الروحيّ لعائلة الطبل ووجهها الحكيم الذي تولى كتابة بيان الاعتذار والتبرؤ من تصرّف بعض الأبناء المسيئين. وأحسّت طبعاً بالحزن ونكران الجميل وهي صاحبة اليد البيضاء التي لم تتخلف عن رعاية الاحتفالات الخيرية في مدن الساحل من اللاذقية إلى طرطوس، ولا عن جمع أرامل وأيتام قتلى من قوات الأسد في ولائم كبيرة في كلّ مناسبة وطنية ودينية، بل إنها أنفقت الكثير على تركيب أطراف بديلة لجرحى، وتكفلت بتزويج بعضهم أحياناً. لم يشفع لها كل ذلك أمام الحاقدين ممن أطلقوا حملةً على أساس طائفيٍّ ضد أبنائها، طالبت بطردهم من بانياس، واتهمتهم بالوهابية والغدر والجبن بالهروب من إدلب و«التشبيح على أهل الشهداء». بل ذهب البعض إلى تفسير ثراء آل الطبل وشركتهم قسورة التي تشغّل، إلى جانب أعمال أخرى، أسطولاً من الشاحنات والصهاريج، بتهريب الذخيرة والسلاح إلى جبهة النصرة، وبشراء النفط ومشتقاته من تنظيم داعش.

بدأ صعود دعدوع مع مقتل ابنها محمد الذي كان منخرطاً مع الميليشيات المحلية التي تقاتل في صفّ النظام في محافظة إدلب. وانتقاماً له أخذت أخويه المراهقين إلى سهيل الحسن وقالت له: «خذهم لك، أنت أبوهم، ليأخذا بالثأر». كبرت دعدوع في عين العقيد فعيّن التوأم رأفت ورؤوف في مرافقته الشخصية ليصيرا، منذ ذلك الوقت، سبب قوة العائلة وثروتها الآخذة في التضخم.

في أواخر سبعينات القرن الماضي كانت سناء شابةً أنيقةً ومثقفةً يستهويها التمثيل، فانضمّت إلى فرقة مسرحية جادة وأدت أدواراً رئيسيةً في أعمال لسعد الله ونوس، كان منها «الفيل يا ملك الزمان» التي تدور قصتها عن ملكٍ ظالم يطلق فيله في المدينة فيقتل ويحطم ويدهس دون أن يجرؤ أحدٌ من الرعية على شكايته للملك.

مرّت سنواتٌ طويلةٌ منذ ذلك، كبرت خلالها الممثلة لتصير عجوزاً، ولتؤدي، أو يؤدي أولادها، دور الفيل، ويؤدي سهيل الحسن دور الملك.

مجلّة عين المدينة نصف شهرية سياسيّة متنوعة مُستقلة

عضو الشبكة السورية للإعلام المطبوع

ayn-almadina.com
info@ayn-almadina.com

@AynAlmadina
/3aynAlmadina

- لا تعبر المقالات المنشورة بالضرورة عن رأي المجلة.
- ترحب المجلة بمساهماتكم غير المنشورة سابقاً.

حقوق العائلة

الزواج

على اللاجئين وطالبي اللجوء والأجانب اتباع قوانين الدولة التي يقيمون فيها من الناحية الشكلية عند الزواج والطلاق. ولذلك يجب عليك الالتزام بالقانون التركيّ المتعلق بالحد الأدنى لسنّ الزواج، وكيفية الحصول على رخصة الزواج، ومتطلبات الزواج الأخرى. ينطبق هذا في حال تمّ الزواج في تركيا، سواء أكان الزواج من سوريين أم مواطنين أتراك أو أجانب.

يشترط القانون التركيّ لإتمام الزواج بالإرادة المنفردة للزوجين إتمام الثامنة عشرة (18) من العمر.

• ويمكن لمن أتمّ السابعة عشرة (17) من العمر الزواج بموافقة الأولياء أو الأوصياء القانونيين.

• ولمن أتمّ السادسة عشرة (16) من العمر الزواج بموجب إذنٍ مسبقٍ من محكمة العائلة، ويتمّ أخذ رأي الأولياء أو الأوصياء القانونيين دون أن يلزم هذا الرأي المحكمة.

• يمنع القانون زواج من هو دون ست عشرة سنة (16)، ويتعرّض الزوج وأولياء الأمر للمساءلة القانونية في هذه الحالة.

• يجب على الخاطبين الذهاب معاً إلى دائرة الزواج في بلدية المدينة التي يقيم أحدهما أو كلاهما فيها من أجل التقدّم للحصول على رخصة الزواج. حتى لو عُقدت مراسم احتفالٍ دينيةٌ للزواج فإنه غير قانونيٍّ إذا لم يتمّ تسجيله، ولا تترتب عليه أي آثارٍ قانونية، بما في ذلك حقوق الإرث والملكية والنفقة والحصولُ على جنسية الزوج.

علاوة على ذلك فإن العلاقة القانونية بين الأب والطفل ستحتاج إلى المصادقة عليها من قبل الأب أمام المحكمة أو دائرة النفوس أو الكاتب بالعدل.

• لا يسمح القانون التركيّ بتعدد الزوجات.

• لا يعترف القانون التركيّ بالزواج الديني عند الشيخ.

• لا يوجد في تركيا تثبيت زواج، هناك تسجيل عقد الزواج عند دائرة الزواج في البلدية.

الوثائق المطلوبة لعقد الزواج

يجب على كلٍّ من الرجل والمرأة التقدّم إلى دائرة الزواج ببطاقة السجل المدنيّ (الهوية)، والقيد المدنيّ (إخراج قيد مدنيّ)، والوثيقة المتعلقة بالزواج الأول إذا كان منتهياً، ووثيقة الإذن الخطية وتوقيع الممثل القانوني إذا كان محجوراً عليه أو صغيراً، والتقرير الطبيّ الذي يثبت عدم وجود مانعٍ طبيٍّ من الزواج.

يجب أن يكون إخراج القيد المدنيّ للسوريين مصدقاً من القنصلية السورية في تركيا، ولكن يمكن الزواج عن طريق استخراج قيدٍ من إدارة الهجرة (حسب المدينة).

(الحضور أمام الموظف شخصيٌّ ولا تقبل الوكالات)

لمّ شمل الأسرة

يمكنك التقدم بطلب إلى مديرية إدارة الهجرة (GİGM) لجمع شملك بزوجك، أو بأطفالك القصّر، أو بأولادك الكبار المعالين والمقيمين في خارج سوريا.

الطلاق

• على الزوج الراغب في الطلاق اللجوء إلى محكمة الأسرة التي يقيم في دائرتها أحد الزوجين، أو حيث عاش الزوجان سابقاً.

• إذا كنت راغباً في الطلاق عليك التقدّم بطلب إلى المحكمة يوضح أسباب ذلك، وقد تحتاج إلى محامٍ لصياغة الطلب. كما يمكنك التقدّم للحصول على مساعدةٍ قانونيةٍ مجانيةٍ إذا كنت غير قادرٍ على تحمل نفقات المحامي.

• إذا كان للزوجين طفلٌ (أطفال) فإن عليهما التقدّم بطلبٍ للحصول على حضانته. ويقرّر القاضي في هذا الشأن حسب المصلحة العليا للطفل.

• يسمّى الطلاق الذي يتمّ بموافقة الزوجين طلاقاً غير متنازعٍ عليه (بالتراضي)، وفي هذه الحالة يجب على الزوجين أن يقدّما طلب الطلاق ويسجلاه لدى المحكمة المختصة. ويشترط في هذا الطلاق مرور سنةٍ على الزواج كحدٍّ أدنى.

• ويسمّى الطلاق بالتنازع إذا لم يتفق الزوجان على شروط الطلاق. ويقدّم أحدهما طلب الطلاق في هذه الحالة، وتعقد المحكمة جلسة استماعٍ إلى كلا الطرفين، وتتخذ قراراً حول تحقق شروط الطّلاق.

وعادةً ما يستغرق الطلاق بالتنازع وقتاً أطول من الطلاق بالتراضي.